المجلد ٣٨ - العدد ١٢
شوال وذو القعدة ١٤٤٧هـ، نيسان - أبريل / ٢٠٢٦

إسلامية شهرية

تصدر عن

المكتب العربي

بالجماعة الإسلامية

الأحمدية العالمية،

المملكة المتحدة

رئيس التحرير

أبو حمزة التونسي

هيئة التحرير

عبد المؤمن طاهر

عبد المجيد عامر

محمد طاهر نديم

محمد أحمد نعيم

مير أنجم برويز

الهيئة الإدارية

نصير أحمد قمر

منير أحمد جاويد

عبد الماجد طاهر

مشرف الموقع

نفيس أحمد قمر

الاتصالات:

Al Taqwa,
22 Deer Park Road,
London SW19 3TL,
United Kingdom

e: info@altaqwa.net

الاشتراك السنوي ٢٠ جنيها استرلينيا
أو ما يعادل ذلك بالعملة الصعبة
تكتب الحوالات المصرفية والبريدية
باسم ASI Ltd

© جميع الحقوق محفوظة
للشركة الإسلامية الدولية

ISSN 1352 - 9463

لا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ

"التقوى" النسخة الإلكترونية

altaqwa.net

مواد دينية، ثقافية،
تاريخية وعلمية في غاية الأهمية.

إخـــلاء المســـؤولية: تبـذل مجلـة التقـوى جهدهـا لضـمان دقـة المعلومـات والمـواد المنشـورة عـبر منصاتهـا، والتـي هـي نتـاج سـعي كاتبهـا إلى إبـداء وجهـة نظـره انطلاقـا مـن أسـس الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة التـي لا يملـك حـق تمثيلهـا سـوى سـيدنا المسـيح الموعـود والإمـام المهـدي (عليـه الصـلاة والسـلام) ومـن بعـده خلفائـه الأطهـار حـصرًا، فتحظـى المـادة بالموافقـة عـلى النـشر بقـدر مـا يوفَّـق كاتبهـا للبحـث والتمحيـص، إلا أن مجلـة التقـوى لا تقـدم أي ضـمان صريـح أو ضمنـي حـول مـا تنـشره مـن مـواد، وإن كانـت تسـعى بنفسـها للتأكـد مـن دقتهـا. لـذا فـإن أي خطـأ قـد يصـدر مـن الكاتـب فهـو عـلى مسـؤوليته الشـخصية، ولا تُحَمَّـل الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة أو إدارة «التقـوى» تَبِعَاتـه.

المحتويات

ابريل 2026 | المجلد 38 | العدد 12

شوال وذو القعدة 1447 هـ /نيسان - إبريل 2026

2 | **كلمة التقوى**
نَحْوَ رَبِيعٍ حَضَارِيٍّ مُتَجَدِّد

4 | **في رحاب القرآن**
كيف يُسقط الله وهم المال والولد
ويكسر غرور الأقوام!

8 | **من نسائم الروضة النبوية الشريفة**
نبوءات آخر الزمان ومستقبل الإسلام

9 | **هكذا تكلم المسيح الموعود**
الفرق بين الذنب والجريمة

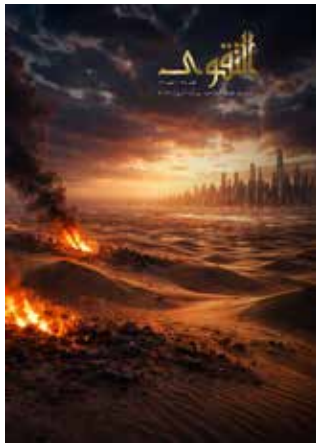

لم ينتــهِ زمن المُعجزات وخــوارق العادات! وأي مُعجــزة أعظم وأظهــر مما أجراه اللــه القدير على يــد خاتم النبيين ﷺ ومــن اتبعوه بصدق في الأولين والآخريــن؟! وكــما أن الأولين صانوا حظــيرة الدين من خطر المتمردِيــن، فالآخرون، الممثلــون في الجماعــة الإســلامية الأحمديــة وخلافتها الراشــدة عــلى منهاج النبــوة، أظهر اللــه بهم الإســلام، وأناط بهم نجــاة العالم من الســقوط في هوة النيران.

10 | **التعريف ببعض قادة جيوش المسلمين في مواجهة المتمردين** خطبة الجمعة ٢٤/٦/ ٢٠٢٢

18 | **تحقق نبوءة طلوع الشمس من مغربها..**
سامح مصطفى

24 | **القيلولة.. تلك السنة المهجورة**
د. أحمد وائل

27 | **أزمة ضمير أم أزمة تفسير**
أحمد الخطيب

30 | **اكتئاب الآباء فيما حول الولادة**
د. ثمر حفيظ

34 | **الأسرار المخفية وراء الابتسامة**
نفيس أحمد قمر

نَحْوَ رَبِيعٍ حَضَارِيٍّ مُتجدِّد

مع إطلالة ربيع عام ٢٠٢٦، وحين تتنفس الأرض بعنفوان المتغيرات المناخية الجديدة، لا يسعُ المثقف المُتأمّل إلا أن يرصد توازيًا لافتًا بين انبعاث الطبيعة وتجددها الذي يحل على الأجواء الجغرافية من جهة، وحال المد الروحي التي تجتاح أروقة المجتمعات الغربية المعاصرة من جهة أخرى. إننا نعيش لحظة تاريخية فارقة، لحظةً يعود فيها الإسلام ليتصدر المشهد، لا كأرقام ذات دلالة ديموغرافية فحسب، بل كمنظومة قيمية صلبة قادرة على ملء الفراغ الروحي الذي خلفته قِيَم الحداثة المائعة.

وما نشهده اليوم من تنامٍ للإسلام في بلدان الغرب، وما نلمسه من تَحَقُّقٍ معنويّ لنبوءة سيدنا خاتم النبيين ﷺ: ”لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى تطلُعَ الشَّمسُ مِن مغرِبِها...“[1]، يدفعنا دفعًا للعودة إلى المنابع الأولى، ليس تقليبًا لصفحات التاريخ المجرد، بل استلهامًا لنموذج القيادة الرشيدة التي استطاعت في أحلك الظروف أن تحفظ بياضا المجتمع الإسلامي الناشئ، وتواجه ما عصف به من رياح الفتن والتمرد بصبرٍ وإيمانٍ وثبات.

فحين نفتح ملفات الرعيل الأول من قادة الجيوش الإسلامية الذين واجهوا حركات التمرد والبغي في عهد الخلافة الراشدة الأولى، لا نجد أنفسنا أمام قادة عسكريين بالمعنى الضيق للكلمة، بل في حضرة مربين وقادة روحيين. والسلك الذي ينظِم دُرر ملاحمهم البطولية هو فكرة الاستقامة الجالبة للكرامة. لقد كان هؤلاء القادة يُمثلون ذروة الالتزام الأخلاقي، فمنهم من كان إسلامه استجابة لرؤى صادقة وبصيرة نافذة، ومنهم من تجلى صدقه في خطبه التي كانت تجمع شتات القلوب قبل أن تجمع صفوف الجيوش. لم تكن مواجهتهم للمتمردين نابعة من شهوة السلطة أو التعطُّش للانتقام، بل كانت ضرورةً حتمية لاسترداد الأمن الروحي والاجتماعي، وضمان ألا يرتد المجتمع إلى جاهلية التشتت والفرقة. والدرس المستفاد الأبرز من سِيَر هؤلاء القادة الذين استعملهم الله في تثبيت أركان الدولة الإسلامية الناشئة يكمن في ذلك الرابط العجيب بين العمل الدنيوي والتأييد السماوي. ففي قلب الصحراء القاحلة، وبينما كانت الجيوش تواجه الظمأ والفتنة في آن واحد، كانت «المعجزة الروحية» تتدخل لإنقاذ الموقف.

هذه المعجزات التي سجلها التاريخ في عهد صديق الأمة رضي الله عنه لم تكن مجرد خوارق للعادة، بل كانت آياتٍ دالة على صدق التوجه وإخلاص القيادة. إن انفجار ينابيع الماء الزلال من تحت الرمال القاسية بعد تضرع القادة ودعائهم، هو رمز أسمى لتدفق الرحمة الإلهية حين تشتد الأزمات. إنها رسالة لكل زمان، أن النصر ليس بالعدد ولا بالعتاد وحده، بل بذاك الإيمان الذي يستنزل السكينة في قلوب المؤمنين ويزلزل الأرض تحت أقدام المتمردين والبغاة.

إننا في افتتاحية هذا العدد من التقوى لشهر إبريل ٢٠٢٦، إذ نستحضر تلك النماذج القيادية الفذة، فإننا نسعى لربط الماضي بالحاضر. فكما استطاع أولئك القادة المخلصون إخماد نيران الفتن وتعبيد الطريق لانتشار النور في أصقاع الأرض، فإن جيل اليوم من المسلمين في شتى بقاع المعمورة، وبخاصة في الغرب، مدعوون لتمثُّل تلك القيم ومطالَبون بتلمُّس القيادة

... المعجزات التي سجلها التاريخ في عهد صديق الأمة ﷺ لم تكن مجرد خوارق للعادة، بل كانت آياتٍ دالة على صدق التوجه وإخلاص القيادة. إن انفجار ينابيع الماء الزلال من تحت الرمال القاسية بعد تضرع القادة ودعائهم، هو رمز أسمى لتدفق الرحمة الإلهية حين تشتد الأزمات. إنها رسالة لكل زمان، أن النصر ليس بالعدد ولا بالعتاد وحده، بل بذاك الإيمان الذي يستنزل السكينة في قلوب المؤمنين ويزلزل الأرض تحت أقدام المتمردين والبغاة.

الروحية التي تنتشلهم من شتات التمزُّق السياسي والضلال الروحي. وهنا يبرز نظام الخلافة الذي ينبغي على الحكومات الإسلامية أن تُعيره القلوب والأسماع لبذل كل جهدٍ ممكن لتوحيد الأمة الإسلامية والعمل بجدٍّ لتحقيق هذا الهدف بدلًا من السعي وراء مصالحهم الذاتية. وفي خطبة حضرته التي ألقاها في السادس من مارس المنصرم، ركز (نصره الله) حديثه بوصفه القائد الأعلى المنصَّب من لدن الله ﷻ على رسم خارطة الطريق لإنقاذ العالم الإسلامي مما اعتراه من فتن وأزمات سياسية هدفت إلى تمزيقه. [٢]

فالربيع الذي ننشده ليس مجرد فصلٍ في السنة، بل هو مناسبة لتمثُّل الروح القيادية الجامعة بين الحزم والرحمة، وبين الحجة العقلية واليقين القلبي، تلك الروح المتقدة بحرارة الإيمان لدى أولئك القادة الذين نزل فيهم قرآن يُتلى، حيث يقول ﷻ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾[٣]. إن شمس الإسلام التي تشرق اليوم من آفاق جديدة، هي ذاتها الشمس التي أنارت دروب الصحابة ﷺ وهم يواجهون أصعب الاختبارات التاريخية.

وفي سياق هذا الموضوع العام، أي حلول ربيع الإسلام على الدنيا من جديد، ومع حلول أول شهور الربيع المناخي، إبريل لعام ٢٠٢٦، يسر أسرة التقوى أن تعرض باقة منوعة من المواد الإثرائية، بدءا من كلمة سيدنا أمير المؤمنين (أيده الله تعالى بنصره العزيز)، والتي يحدثنا فيها حضرته عن رجال من جماعة المؤمنين الأولى استعملهم الله ﷻ في تقديم الربيع الروحاني إلى هذا العالم. والحق أن كل مسلم في الواقع له دور فعال في تقديم الربيع المنشود إلى من حوله، اقتداء بسيدنا خاتم النبيين ﷺ الذي كان باسم الثغر، حتى في أحلك الظروف وأقساها، فمن شأن سنته وتعاليمه أن تجعل هذه الدنيا ربيعا مُقِيما.

فختامًا، ندعو الله ﷻ أن يُفيض علينا في هذا الربيع من بركاته الروحية والمادية، وأن يجعل من مراجعاتنا للسيرة النبوية ولتاريخ القيادة الإسلامية نبراسًا يضيء لنا سبل المستقبل، لنثبت للإنسانية جمعاء أن الإسلام هو الدين الحق، هو الشمس التي لا تعرف الأفول، وأن وعد الله بظهوره على الدين كله هو وعدٌ يتحقق في كل حين وآن بنور الإيمان وعزيمة المخلصين، آمين.

الهوامش:

١ . أخرجه أبو داود (٢١٣٤)

٢. راجع: مرزا مسرور أحمد، الاضطراب العالمي والحاجة الملحة إلى وحدة المسلمين، خطبة الجمعة الموافق ٦ مارس ٢٠٢٦م، والمنشورة بصورة كتيب على موقع مجلة التقوى

٣. (الفتح: ٣١)

كيف يُسقط الله وهم المال والولد ويكسر غرور الأقوام!

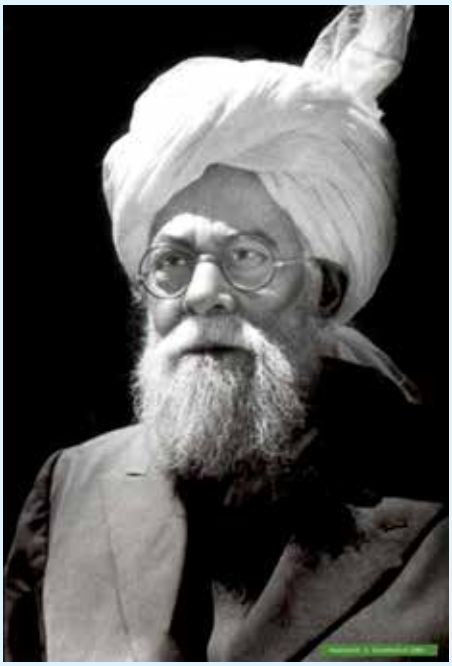

حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد ﷺ
الخليفة الثاني للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٧﴾
أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٨﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٩﴾
كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٨٠﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨١﴾

﴿وَيَزِيدُ الله الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ (مريم ٧٧)

التفسير:

لقد بين الله تعالى هنا أنه كلما تغيرت الظروف ازداد المؤمن إيمانًا مع إيمانه. بمعنى أن أي تغير لا يبطئ قدم المؤمن ولا ينقص من إيمانه شيئًا، بل يزيده قوة على قوته. خذوا جماعتنا مثلا، فإن كل محنة واختبار قد مرت به قد زادها تقدمًا وازدهارًا. فكم كانت شديدةً الصدمةُ التي أصيبت بها جماعتنا عند خروجنا من قاديان. ذلك لأن الأحمديين كانوا مصابين بنوع من الشرك بشأن قاديان، حيث ظنوا أنهم لن يخرجوا منها أبدًا. وعندما قُضي على شركهم هذا أصيبوا بهزة عنيفة حتى تضعضع كثير من ضعاف الإيمان منهم. فكان بعضهم يقولون بأفواههم بأن الأحمدية حق، ولكنهم كانوا مرتابين في قلوبهم، وقالوا إذا كانت الأحمدية حقًّا لما أُخرجنا من قاديان. ولكن انظر إلى الازدهار الكبير الذي حققته جماعتنا بعد الخروج من هناك. عندما كنا في قاديان كان يفد إليها من خارج الهند الواحد أو الاثنان للتعليم خلال عدة سنين. أما بعد الهجرة منها فبدأ الكثيرون من بلاد عديدة يفدون إلى المركز على التوالي من أجل دراسة الدين، فيوجد اليوم أيضًا حوالي عشرة أو اثنا عشر طالبًا من الأجانب يتعلمون الدين هنا في المركز. كما نتلقى من حين لآخر طلبات كثيرة من الآخرين الكثيرين الذين يريدون المجيء هنا لهذا الغرض، ولكنا نضطر لرفض طلباتهم لقلة مواردنا. ثم إننا عندما كنا في قاديان كانت لنا في الخارج مراكز قليلة للدعوة والتبليغ، ولكنا قد أرسلنا الآن عديدًا من الدعاة إلى بلاد أخرى أيضًا، ويطّلع الناس على الأحمدية على نطاق أوسع. كما أن

إن ما يُكنـز في السماء محفوظ، و إن ما يُكنـز على الأرض هو غير محفوظ. إن باقياتهم الصالحات مدخرة في البنك السماوي الذي لا يعرف الإفلاس أبدًا، وإنها خيرٌ ثوابًا وخير مردًّا.. أي أنهم سينالون هنالك رؤوس أموالهم مع أرباحها، حيث إن لفظ ﴿ثوابًا﴾ إشارة إلى الربح، و﴿مردًّا﴾ إلى رأس المال. فالله تعالى ينبه هؤلاء الشعوب لقد أصابكم الزهو ببنوككم، وترون أنه لا بد لكم مدخرات فيها حتى تكسبوا الربا عليها أضعافًا مضاعفة، ولكن قد نسيتم أن المال الحقيقي إنما هو ما يُدّخر في البنك الإلهي...

ميزانية الجماعة قد زادت الآن على ما كانت عليه في قاديان. فالرقي الذي حققناه في كل المجالات مدهش حقًّا. وهذه هي الحقيقة التي قد نبه الله تعالى إليها هنا، فهو ﷻ لا يزال يزيد المؤمنين رقيًّا ورفعة عند كل خطوة. صحيح أنهم ليسوا في مأمن من المحن والصدمات، ولكن كلما انقشعت غمامة المعارضة وانجلت المحنة، تبين أن أعداء الحق قد أصابهم الضعف والوهن، وأن المؤمنين قد ازدادوا قوة إلى قوتهم.

ثم يقول الله تعالى ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابًا وخير مَردًّا﴾.. أي أن الحسنات التي تبقى هي الأفضل عند الله تعالى. بمعنى أن رأس مال المرء إنما هو أعماله التي تحظى بالقبول لدى الله تعالى؛ أو بتعبير آخر، إن الباقيات الصالحة تُدّخر في خزانة الله تعالى.

يقول المسيح عليه السلام: «لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يُفسد السوسُ والصدأُ، وحيث ينقُب السارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزًا في السماء حيث لا يُفسد سوسٌ ولا صدأٌ، وحيث لا ينقُب سارقون ولا يسرقون»(متى ٦: ١٩،٢٠).

فبما أن المسيح عليه السلام قد أوصى قومه بألا يدّخروا المال على الأرض، وإنما الحري بهم أن يدّخروه في السماء، لذا قد نبه الله تعالى المسيحيين هنا في القرآن الكريم أن كل الكفاءات والقدرات التي يتظاهرون ويتفاخرون بها إنما تتعلق بالأرض. إن مدافعكم وقنابلكم، سواء العادية منها أو النووية، وإن جنودكم وأحزابكم وتجاراتكم كلها أمور أرضية دنيوية. أما المؤمنون الذين تظنون أنهم ضعفاء لا حيلة بهم ولا قوة، فمَصرَفهم الذي يدّخرون فيه هو في السماء. هل نسيتم قول المسيح إن ما يُكنز في السماء محفوظ، وإن ما يُكنز على الأرض هو غير محفوظ. إن باقياتهم الصالحات مدخرة في البنك السماوي الذي لا يعرف الإفلاس أبدًا، وإنها خيرٌ ثوابًا وخير مردًّا.. أي أنهم سينالون هنالك رؤوس أموالهم مع أرباحها، حيث إن لفظ ﴿ثوابًا﴾ إشارة إلى الربح، و﴿مردًّا﴾ إلى رأس المال. فالله تعالى ينبه هؤلاء الشعوب لقد أصابكم الزهو ببنوككم، وترون أنه لا بد لكم مدخرات فيها حتى تكسبوا الربا عليها أضعافًا مضاعفة، ولكن قد نسيتم أن المال الحقيقي إنما هو ما يُدّخر في البنك الإلهي، أن الربح الحقيقي إنما هو ما يعطيه الله من فضله.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا * أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (مريم ٧٨-٧٩)

التفسير:

يقول الله تعالى هنا متسائلاً: إن هذا الذي يكفر بآياتنا زاعمًا أن ماله سيزيده ثراءً حيث يستثمره بالتجارة فيربح المزيد من المال، وأن أولاده سيتسببون في ازدهار عشيرته وقبيلته، فعنده كل الوسائل التي تزيده مالاً ونفرًا، ﴿أَطَّلَعَ الغيبَ﴾؟ ألم يُهلَك الأولون رغم كثرة أموالهم؟ ألم يدمّروا رغم كثرة أولادهم؟ ألم يكن قوم عاد قوة عظيمة؟ كانوا في يوم من الأيام يحكمون

الجزيرة العربية كلها والعراق وفلسطين والشام، أما اليوم فإن علماء الآثار يبحثون عن آثارهم الباقية في بطن الأرض، وإذا وجدوا شيئًا من آثارهم يفرحون ويبتهجون وكأنهم قد قاموا بإنجاز تاريخي عظيم. ثم كم بلغ الفراعنة من المنعة والعظمة؟ كان الناس يرتجفون بسماع اسمهم، وبلغ غرورهم بعظمتهم أنه إذا خرج أحدهم إلى بلاطه وضع على وجهه النقاب ظنًّا منه أنه لو رأى أحدٌ من الرعايا وجهه لأصيب بالجذام. أما اليوم فتُستخرج جثثهم المحنطة وتوضع في المتاحف، ويقال هذه مومياء فرعون كذا وتلك مومياء فرعون ذاك. ولقد رأيت بنفسي هذه الجثث المحنطة في المتحف المصري. وتوجد بعض هذه المومياوات في فرنسا. ويسعى الأمريكان أن يأخذوا إلى بلدهم مومياء أحد من الفراعنة. وهذا يعني أن الفراعنة أصبحوا جثثًا تتفرج عليها الناس في المتاحف كما يتفرجون على الأواني القديمة. فمتى خطر ببالهم أنه سيُفعل بجثثهم هذا في يوم من الأيام؟

فهؤلاء القوم الذين يدّعون بأنهم لن يهلكوا أبدًا لأن عندهم الأموال ولأن أولادهم مستمرون في الترقي والازدهار، يقول الله تعالى فيهم ﴿أَطَّلَعَ الغيبَ أم اتخذَ عند الرحمن عهدًا﴾.. أي هل تيسر لهم علم الغيب بأنهم لن يهلكوا، أم أن الله الرحمن قد وعدهم بهذا؟ ذلك لأن معرفة علم الغيب أو الوعد عند الله هما الأمران اللذان يمكن أن يبنوا عليهما ادعاءهم بعدم الهلاك، أما كثرة الأموال والأولاد فلا يمكن أن ينجي أحدًا من الدمار، إذ لم تزل القوى الدنيوية العظيمة تهلك وتباد حتى اليوم.

الحق أن لأخبار الغيب مصدرين؛ أولهما المنجمون والرمالون والكهان وغيرهم الذين يتنبؤون في زعمهم بشتى الأخبار المستقبلية، والمصدر الثاني هو الله تعالى الذي يُطلِع رسلَه على أخبار الغيب؟ ولذلك ذكر الله هنا هذين المصدرين، وقال ﴿أَطَّلَعَ الغيبَ﴾.. أي هل ما يدّعون به هو نبأ أدلى به أحد المنجمين وغيرهم، ﴿أم اتخذَ عند الرحمن عهدًا﴾.. أي أم أن نبيًّا من أنبياء الله تعالى أخبرهم بهذا؟

﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ (مريم ٨٠)

شرح الكلمات:

كلا: ورد في المفردات: «كلا، رَدْعٌ وزجرٌ وإبطالٌ لقول القائل». فالمراد من «كلا» أن الكلام الذي مرّ من قبل غلطٌ، وإنما الصحيح ما يقال الآن.

التفسير:

يعلن الله تعالى أن كل ما يقوله هؤلاء كلام فارغ غلط، إذ لم يتيسر لهم علم الغيب، كما لم يقطع الله معهم أي عهد. ﴿سنكتب ما يقول﴾.. أي لن ننسى قولهم ﴿لأُوتَيَنَّ مالاً وولدًا﴾، بل لا بد أن نأخذه في الحسبان لنحاسبهم عليه. لن ننسى أنهم قد ادعوا بهذه الدعاوى أمام عبادنا، ومن واجبنا أن نفضحهم أمامهم أيضًا.

ثم قال الله تعالى ﴿ونُمِدّ له من العذاب مَدًّا﴾.. أي كما أننا مددنا لهم حبل المهلة طويلاً حتى أخذهم الزهو والغرور بقوتهم وشوكتهم، فعيّروا المؤمنين بضعفهم وقلة حيلتهم، فمن واجبنا كذلك أن نمد فترة عذابهم أيضًا. وكأنه تعالى يقول إن إمهالنا لهؤلاء القوم طويلاً قد عرّض عبادنا المؤمنين للخزي والهوان طويلاً، حتى بدوا أمامهم ضعفاء حقيري الشأن، كما عرّضنا بذلك الإسلام للمطاعن، فمن واجبنا الآن أن نطيل فترة عذابهم أيضًا انتقامًا للمؤمنين، لكي يطمئنوا بأن هناك من يعطف عليهم ويرعاهم.

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ (مريم ٨١)

التفسير:

اعلم أن قوله تعالى ﴿ونرثه ما يقول﴾ تقديره: نرث منه ما يقول. وأما ﴿ما يقول﴾ فقد مضى شرحه من قبل في قول الله تعالى ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خيرٌ مقامًا وأحسنُ نديًّا﴾، وقول الله تعالى ﴿وقال لأُوتَيَنَّ مالاً وولدًا﴾. فالمراد من ﴿ما يقول﴾

هو زهوهم بثرائهم ومالهم وتفاخرهم بمكانتهم وأولادهم. فالله تعالى يعلن هنا أنه سيرث منهم هذه الأشياء التي يتباهون بها، أي سينزع منهم أموالهم وثراءهم، وعزتهم ومناصبهم وأولادهم أيضًا.

ثم يقول تعالى ﴿ويأتينا فردًا﴾.. أي أنه سيحضرنا وحيدًا منفردًا. وكما ترى فإن الله تعالى لم يشر هنا إلى المال وإنما اكتفى بالإشارة إلى كونه وحيدًا فردًا. ذلك لأن أصحاب المرء نوعان: النوع الأول هم أولئك الذين يكونون معه بسبب القرابة كأب وأم وولد وأخ وأخت وزوجة. والنوع الثاني هم أولئك الذين يجتمعون حول المرء من أجل بعض المكاسب التي هي نتيجة حتمية للمال والعزة. وكأن هؤلاء طماعون في المال أو العزة أو الصيت في الحقيقة، وكلما رأوا عند أحد مالاً ونفوذًا صاروا من أصحابه وأصدقائه يتملقون له طلبًا لبعض المنافع والفوائد. ولكن الله تعالى يعلن هنا أنهم حين يأتوننا يأتي كل واحد منهم كفرد واحد، ولن يرافقه عندها أي من أصحابه.

لقد بين الله تعالى من قبل أنه سينزع منهم أموالهم وأولادهم، أما الآن فيضيف ويقول ﴿ويأتينا فردًا﴾.. أي لأننا سننزع منهم أولادهم فيصبح كل واحد منهم وحيدًا فردًا؛ كما أننا سننزع منهم أموالهم أيضًا فينفضّ مِن حولهم أصحابهم الآخرون الذين اجتمعوا حولهم طمعًا في مالهم وكانوا يتملقون لهم كل حين. فكأن قوله تعالى ﴿ويأتينا فردًا﴾ جاء تأكيدًا لحرمانهم من المال والأولاد كليهما. حيث جاء لفظ ﴿فردًا﴾ نفيًا للأولاد والخدم والأصحاب، أما الذين يجتمعون حولهم طمعًا في المنافع والمكاسب فجاء نفيهم في نفي المال تلقائيًا، لأن هؤلاء إنما يتخلون عن المرء حين لا يكون عنده مال ولا نفوذ. خذوا كفار مكة مثلاً، كم كان الرؤساء الكافرون يتباهون بأولادهم، ولكن الله تعالى نزع منهم أولادهم وجمعهم على قدمي محمد رسول الله ﷺ، جاعلاً أولئك الرؤساء الكافرين أذلاء صاغرين.

لما خرج النبي ﷺ لغزوة بني المصطلَق تشاجر بعض الأنصار والمهاجرين على بئر ماء وقت الشرب، وطال الشجار واحتد حتى شهر القوم سيوفهم وكادوا يقتتلون. فاغتنم عبد الله بن أبي بن سلول – رأس المنافقين – الفرصة فتقدم وقال للأنصار، إنما هي أخطاؤكم التي رأيتم بسببها هذا اليوم التعيس. فكنت أنصحكم دائمًا أن لا تخصوا المهاجرين بهذه الحفاوة والكرم وإلا ستتندمون على ذلك في يوم من الأيام، ولكنكم لم ترضوا بقولي. والحمد لله أنكم قد تنبهتم لخطأكم الآن قبل فوات الأوان، فلا يهمنّكم شأنهم. دعوني أرجع إلى المدينة، فسترون أنه ﴿ليُخرِجنّ الأعزُّ منها الأذلَّ﴾(المنافقون: ٩). وسترون أن هذه الفتنة لن تطلّ برأسها بعد ذلك أبدًا. وكان هذا الشقي يقصد بـ ﴿الأعزّ﴾ نفسه، وبـ ﴿الأذل﴾– والعياذ بالله – رسولَنا الكريم ﷺ. فلما سمع الفريقان قوله فطنوا على الفور أن الرجل يريد الفتنة مستغلا شجارهم وحماسهم. فرجعوا إلى صوابهم وتصالحوا. ولكن أحد الصحابة جرى إلى رسول الله ﷺ وأبلَغه الخبر. فدعا النبي ﷺ عبدَ الله بن أبي بن سلول وأصدقاءه وسألهم عن الأمر. فأنكروا ما قالوا تمامًا. ولكن الحدث كان أمرًا واقعًا، فأخذ خبره ينتشر بين القوم حتى وصل إلى ابن رأس المنافقين هذا، حيث قيل له إن أباك قد قال عند هذا الشجار مهددًا: إن أعز شخص في المدينة، أي أباك، لا بد أن يطرد أذل شخص فيها، أي – والعياذ بالله – رسول الله ﷺ. وكان ابنه فتى مؤمنًا مخلصًا، فلم يتمالك نفسه وذهب إلى النبي ﷺ من فوره، وقال: يا رسول الله، لقد سمعت أن أبي قد تكلم بمثل هذا الكلام؟ قال النبي ﷺ: نعم، لقد بلغني ذلك أيضًا. قال: يا رسول الله، هل عقوبة هذه الجريمة إلا القتل؟ فأرجوك، يا رسول الله، أنك إذا أردتَ قتل أبي فلا تأمر غيري بقتله؛ لأنك لو أمرت غيري بقتله فأخاف أن يغويني الشيطان ويحرضني على قاتل أبي، فأقتله من فورة الغضب والانتقام. فاسمح لي أنا بقتل أبي بيدي. فقال رسول الله ﷺ، أنا لا أرغب في قتله أبدًا، بل إني لا أريد عقابه أصلا. قال: يا رسول الله، حسنًا، إذا كنت لا تريد أن تعاقب أبي الآن، فالرجاء أنك إذا أردت قتله في وقت لاحق فمُرْني أنا ولسوف أقتله بيدي. فأعاد النبي ﷺ كلامه وقال إنا لا نريد أن نعاقبه أصلاً، وإنما نريد أن نعامله بلطف ولين. فخرج الفتى من عند رسول الله ﷺ صامتًا، ولكنه كان يحترق كمدًا بسبب الكلمة التي تفوه بها أبوه، فكان لا يرتاح له بال ولم يقر له قرار.(يتبع)

من نسائم الروضة النبوية الشريفة

نبوءات آخر الزمان ومستقبل الإسلام

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ فَيَوْمَئِذٍ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ». (صحيح مسلم، كتاب الإيمان)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ، قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا». (صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشاط الساعة)

عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: كُنَّا نَقِيلُ وَنَتَغَدَّى بَعْدَ الْجُمُعَةِ. (صحيح البخاري، كتاب الاستئذان)

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ». (جامع الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ، قَالَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. (جامع الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ «. (صحيح البخاري، كتاب المرضى)

هكذا تكلم المسيح الموعود

الفرق بين الذنب والجريمة

من الخطأ تماما القولُ بأن كلمة «ذنب» المذكورة في الآية: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [1] تعني الإثم، لأن هناك فرقا بين الذنب والجريمة. الجريمة تُطلَق دائما على الإثم الذي يستحق العقوبة. أما «الذنب» فتُطلَق على الضعف البشري أيضا. لذلك نُسب إلى الأنبياء «الذنب»، بسبب ضعفهم البشري ولم تُنسب إليهم «الجريمة». ولم يُدعَ أيّ نبي في كتاب الله باسم «المجرم». وقد جاء في كتاب الله أي القرآن الكريم وعيد بالجحيم للمجرم، إذ عهد الله أنه سيُلقى في جهنم، ولم يأت أيّ وعيد للمذنب. كما يقول الله تعالى: ﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا﴾ [2]، فهنا قال الله: ﴿مُجْرِمًا﴾ ولم يقل: «مذنبا» لأن المذنب يمكن أن يُطلق على البريء أيضا في بعض الحالات، ولكن لا يمكن أن يطلَق عليه «المجرم». وهناك دليل آخر أيضا على ذلك، وهو أنه قد جاء في سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾ [3]. يتبين من هذه الآية بنص صريح أن جميع الأنبياء بمن فيهم المسيح عليه السلام كانوا مأمورين بالإيمان بالنبي ﷺ وأقروا بأنهم آمنوا به. وإذا قرأنا الآية: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ مع الآية المذكورة من قبل واستنبطنا من «الذنب» معنى الجريمة، والعياذ بالله، لكان عيسى عليه السلام أيضا مجرما بحسب هذه الآية لأنه أيضا من المؤمنين الذين آمنوا بالنبي ﷺ بحسب الآية، لذا سيُعدّ مجرمًا لا محالة. على المسيحيين أن يفكروا في هذا المقام جيدا. تبين من هذه الآيات بجلاء تام أن «الذنب» هنا لم يأتِ بمعنى الجريمة، بل المراد منه هو الضعف البشري الذي لا يقع عليه اعتراض. ولا بد أن يكون هذا الضعف موجودا في فطرة المخلوقات. وقد سمّي الضعف ذنبا لأن هذا النقص والضعف موجود في الإنسان بطبيعته حتى يكون محتاجا إلى الله دائما ويسأل الله القوة دائما للتغلب عليه. ولا شك أنه إن لم تسعف الإنسانَ قوةُ الله فلن يُسفر ضعفه البشري إلا عن الذنب. فالموصل إلى الذنب قد سُمّي ذنبا على سبيل الاستعارة. ومن الشائع والمتداول أن الأعراض التي تسبب بعض الأمراض تُطلق عليها اسم تلك الأمراض نفسها. فالضعف الطبيعي أيضا مرضٌ وعلاجه الاستغفار. (عصمة الأنبياء:١٠٦)

١. محمد ٢١ ٢. طه: ٧٥ ٣. آل عمران: ٨٢

التَّعْرِيفُ بِبَعْضِ قَادَةِ جُيُوشِ المُسْلِمِينَ فِي مُوَاجَهَةِ المُتَمَرِّدِينَ

الترجمة العربية لخطبة الجمعة التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز
الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٢٤م
في المسجد المبارك بإسلام آباد، بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

القائد المسلم خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه

نحن بصدد ذكر البعثات التي تم إرسالها ضد المتمردين والبغاة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وورد في تفاصيل البعثة السابعة ضد هؤلاء المتمردين أنها قد أوكلت إلى خالد بن سعيد بن العاص الذي أُرسل للرد على البغاة المرتدين.

عقد أبو بكر لواء لخالد بن سعيد بن العاص وبعثه إلى الحمقتين من مشارف الشام.

وبخصوص التعريف بخالد بن سعيد بن العاص فاسمه خالد ويكنى أبا سعيد، أبوه سعيد بن العاص بن أمية، وأمه لُبينه بنت حباب وكانت معروفة بأم خالد، كان خالد من أوائل المسلمين، يقال: إنه أسلم بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فكان ثالثًا أو رابعًا، وقيل: كان خامسًا. ولم يتقدمه في الإسلام إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر، وزيد بن حارثة، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم.

* العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية من إضافة أسرة «التقوى»

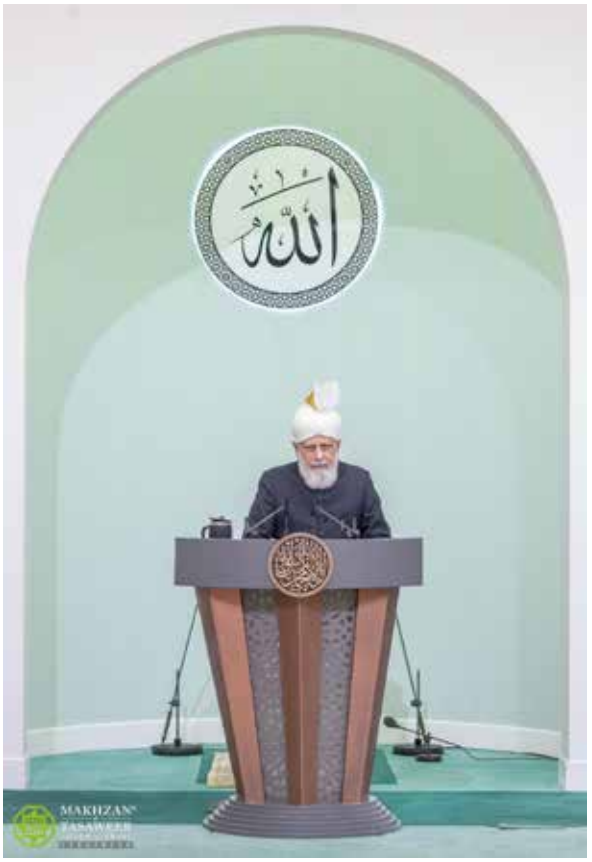

وكان سبب إسلام خالد أنه رأى في المنام أنه وقف على شفير النار، وكأن أباه يدفعه فيها، ورأى رسول الله ﷺ آخذا بحقويه حتى لا يقع فيها، فاستيقظ خالد فزعًا وقال: أحلف إنها لرؤيا حق، ولقي أبا بكر رضي الله عنه فذكر ذلك له، فقال له أبو بكر: أريد بك خير، وأراد الله تعالى أن ينقذك من النار، هذا (أي محمد) رسول الله ﷺ فاتّبعه، فإنك ستتبعه في الإسلام الذي يحجزك من أن تقع في النار، وأبوك واقع فيها.

فلقي خالد رسول الله ﷺ وهو بأجياد١. فقال خالد: يا محمد، إلى من تدعو؟ قال: «أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن تخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، ولا يدري من عبده ممن لم يعبده.» قال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله. فسُرّ رسول الله ﷺ بإسلامه، وتغيب خالد بعد إسلامه، فلما علم أبوه بإسلامه أرسل في طلبه من بقي من ولَده، ولم يكونوا أسلموا، فوجدوه، فأتوا به أباه، فسبّه وبكّته وضربه بعصا في يده حتى كسرها على رأسه، وقال: اتبعتَ محمداً (ﷺ) وأنت ترى معارضة قومه له، وما جاء به من عيب آلهتهم وعيب من مضى من آبائهم! قال: قد والله تبعته على ما جاء به. فغضب أبوه ونال منه، وقال: اذهب عنّي يا لكع حيث شئت، والله لأمنعنك القوت، فقال خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به. فأخرجه فأخرجه، وقال لبنيه: لا يكلمه أحد منكم إلا صنعت به ما صنعت بخالد.، فانصرف خَالِد إِلَى رَسُول اللَّه ﷺ فكان يلزمه، ويعيش معه٢ ، وكان يتغيب عمومًا عن أبيه في نواحي مكة حتى لا يبطش به ويقسو عليه مرة أخرى. وكان أبوه شديدًا على المسلمين، وكان أعز مَن بمكة، واتفق أن مرض، فأقسم على أنه سيفتك بالمسلمين إذا برئ فقال: لئن رفعني الله من مرضي هذا لا يُعبد إله ابن أبي كبشة بمكة. فلما علم خالد دعا على والده: اللهم لا ترفعه. فتوفي في مرضه ذلك . ٣

فلما خرج المسلمون إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، خرج معهم خالد أيضا، ومعه امرأته أميمة بنت خالد الخزاعية، وهاجر معه إلى أرض الحبشة أخوه عمرو بن سعيد، وقدم خالد على النبي ﷺ بخيبر مع جعفر بن أبي طالب ولم يشهد غزوة خيبر إلا أن النبي ﷺ أسهم له من الغنائم. وشهد مع النبي ﷺ عمرة القضاء، وفتح مكة، وحُنينًا، والطائف، وتبوك وغيرها.

لم يستطع أن يشهد مع النبي ﷺ بدرا، وكان دوما يحزن على ذلك، وقال للنبي ﷺ: «يَا رَسُولَ اللَّه، لَمْ نَشْهَدْ مَعَكَ بَدْرًا، فَقَالَ: أَوَمَا تَرْضَى يَا خَالِدُ أَنْ يَكُونَ لِلنَّاسِ هِجْرَةٌ ، وَلَكُمْ هِجْرَتَانِ ثِنْتَانِ»٤ لقد أورد الخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام في كتابه مقدمة تفسير القرآن أسماء كتبة الوحي وذكر فيها اسم

خالد بن سعيد بن العاص أيضا. لقد استعمل النبي ﷺ خالد بن سعيد على صدقات اليمن. وبقي على هذا المنصب حتى وفاة النبي الكريم ﷺ، فلما جاء إلى المدينة المنورة بعد وفاة الرسول الكريم ﷺ سأله أبو بكر: لماذا عدت؟ قال: لن أعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ. يقال إنه تأخر عن بيعة أبي بكر، ولكنه بايعه عندما بايع بنو هاشم - ثم أرسله أبو بكر أميراً على الجنود في مواطن كثيرة.

استُشهد بمرج الصفر في خلافة أبي بكر ﷺ، وقيل: كانت وقعة مرج الصفر سنة أربع عشرة في صدر خلافة عمر. وقيل: بل كان قتله في وقعة أجنادين بالشام قبل وفاة أبي بكر بأربع وعشرين ليلة.

تفصيل مهمة خالد بن سعيد ﷺ ضد المرتدين

ورد في تاريخ الطبري تفصيل مهمة خالد ضد المرتدين كما يلي:

فلما عقد أبو بكر الألوية لقتال أهل الردة عقد له فيمن عقد، فنهاه عنه عمر من تعيينه له أميراً وقال له ألا يستعمله على شيء، لكن أبا بكر ﷺ لم يسمع له، وعين حضرة خالد على كتيبة مساعدة في تيماء وهي مدينة مشهورة بين الشام والمدينة.

فحين أمره بالسير إلى تيماء قال له لا تبرح مكانك وادعُ من حولك للانضمام إليك ولا تقبل إلا ممن لم يرتدوا ولا تقاتلْ إلا من قاتَلك حتى تأتيك أوامري.

فأقام سيدنا خالد في تيماء فاجتمع إليه جموع كثيرة من شتى الجهات ولما بلغ الرومَ عِظَمُ ذلك العسكر ضربوا على العرب الضاحية البعوث بالشام إليهم فكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر عن تجهُّز الروم وعن وصول قبائل العرب، فكتب إليه أبو بكر ﷺ أن أقدمْ ولا تحجم واستنصِر الله. فسار إليهم خالد فلما دنا منهم أصابهم الرعب وتفرقوا وهربوا، فنزل سيدنا خالد مكانهم، ودخل عامة من كان تجمَّع له في الإسلام وكتب خالد إلى أبي بكر بذلك فكتب إليه أبو بكر أقدِمْ ولا تقتحمن حتى لا تؤتى من خلفك. (٥)

هذا ما نجده فقط في كتب التاريخ عن أعمال سيدنا خالد بن سعيد ضد المرتدين في عهد سيدنا أبي بكر ﷺ، وعلاوة على ذلك سيأتي ذكرُه في فتوح الشام في عهد سيدنا أبي بكر ﷺ مستقبلا.

القائد المسلم طريفة بن حاجز ﷺ

البعثة الثامنة كانت لسيدنا طريفة بن حاجز ضد المرتدين المتمردين، فقد عقد سيدنا أبو بكر ﷺ لواء لطريفة بن حاجز وأمره بالتصدي لبني سليم ومن معهم من هوازن. وفي رواية أنه بعث معن بن عدي لبني سليم وهوازن.

لقد كتب العلامة ابن عبد البر اسمَ والد سيدنا طريفة وسيدنا معن في كتابه الاستيعاب «حاجز»٦، أما العلامة ابن الأثير فكتب اسمه في أسد الغابة «حاجر» أي بالراء٧.

لقد عين سيدنا أبو بكر ﷺ بعد انتخابه خليفة سيدَنا طريفة بن حاجز عاملا على من ثبتوا من سليم على الإسلام. فكان عاملا مخلصا ومتحمسا، فألقى خطبا مؤثرة حتى انضم إليه كثير من العرب من بني سليم. وفي رواية عن عبد الله بن أبي بكر قال: كانت سليم قد انتقض بعضهم فرجعوا كفارا بعد وفاة النبي ﷺ، وثبت بعضهم على الإسلام مع أمير كان لأبي بكر عليهم يقال له معن بن حاجز وعند البعض أخوه طريفة بن حاجز، فلما سار خالد بن الوليد إلى طليحة وأصحابه كتب سيدنا أبو بكر إلى معن بن حاجز أن يسير بمن ثبت معه على الإسلام من بني سليم مع خالد، فسار واستخلف على عمله أخاه طريفة بن حاجز.

وهناك رواية تذكر طرفة بن حاجز، فعن عبد الله بن أبي بكر قال: «قدم على أبي بكر رجل من بني سليم، يقال لَهُ الفجاءة٨، وهو إياس بْن عبد الله بْن عبد ياليل بْن عميرة بْن خفاف، فَقَالَ لأبي بكر: إني مسلم، وقد أردت جهاد من ارتد من الكفار، فاحملني وأعني، فحمله أبو بكر على ظهر، وأعطاه سلاحا، فخرج يستعرض الناس: المسلم والمرتد، يأخذ أموالهم، ويصيب من امتنع

لما أرسل رسول الله ﷺ الرسائل إلى الملوك أنيطت إلى العلاء بن الحضرمي مهمة تبليغ رسالته إلى المنذر بن ساوى حاكم البحرين، الذي ولاه النبي ﷺ عليها. ولما أتى العلاء بن الحضرمي المنذرَ بن ساوى يدعوه إلى الإسلام أسلم، وكان ردُّه: «قد نظرت في هذا الذي في يديّ فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فرأيته للآخرة والدنيا فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت؟ ولقد عجبت أمس ممن يقبله، وعجبت اليوم ممن يرده. وإن من إعظام من جاء به أن يعظم رسوله، وسأنظر والله أعلم.»

منهم، ومعه رجل من بني الشريد، يقال لَهُ: نجبة بْن أبي الميثاء، فلما بلغ أبا بكر خبره، كتب إلى طريفة بْن حاجز: إن عدو الله الفجاءة أتاني يزعم أنه مسلم، ويسألني أن أقويه على من ارتد عَنِ الإِسْلام، فحملته وسلحته، ثُمَّ انتهى إليَّ من يقين الخبر أن عدو الله قد استعرض الناس: المسلم والمرتد يأخذ أموالهم، ويقتل من خالفه منهم، فسر إليه بمن معك مِنَ الْمُسْلِمين حَتَّى تقتله، أو تأخذه فتأتيني بِهِ فسار طريفة بْن حاجز، فلما التقى الناس كانت بينهم الرِّمّيّا بالنبل، فقتل نجبة بْن أبي الميثاء بسهم رمي بِهِ، فلما رأى الفجاءة مِنَ الْمُسْلِمين الجد قَالَ لطريفة: والله ما أنت بأولى بالأمر مني، أنت أمير لأبي بكر وأنا أميره فَقَالَ لَهُ طريفة: إن كنت صادقا فضع السلاح، وانطلق معي إلى أبي بكر فخرج معه، فلما قد ما عَلَيْهِ أمر أبو بكر طريفة بْن حاجز، فَقَالَ: اخرج بِهِ إلى هذا البقيع فحرّقه فيه بالنار، فخرج بِهِ طريفة إلى المصلى فأوقد لَهُ نارا، فقذفه فيها.»[٩]

القائد المسلم العلاء بن الحضرمي ﷺ

البعثة التاسعة ضد المرتدين البغاة قد أوكلت إلى سيدنا العلاء بن الحضرمي، فقد عقد سيدنا أبو بكر ﷺ لواء لسيدنا العلاء وأمره بالسير إلى البحرين، وهي تقع بين اليمامة والخليج العربي وتضم قطر وإمارة البحرين (الجزيرة). وهي ليست البحرين الصغيرة في هذا العصر بل كانت منطقة شاسعة، وكانت عاصمتها دارِين.

وكان يحكمها المنذر بن ساوى في عهد النبي ﷺ فأسلم، تسمى هذه الأيام البحرين بالإحساء.

وأما العلاء بن الحضرمي فاسمه العلاء، واسم أبيه عبد الله، وكان من حضرموت باليمن. وقد تشرف بالإسلام في بداية الدعوة. وكان أخوه عمرو بن الحضرمي أولَ قتيل من المشركين قتلَه مسلمٌ، وكان ماله أول مال خُمّس في الإسلام. ويقال أنّ قتله كان من الأسباب الأساسية والفورية لوقعة بدر. وكان للعلاء بن الحضرمي أخ آخر هو عامر بن الحضرمي، وقد قُتل أيضا يوم بدر كافرًا.

لما أرسل رسول الله ﷺ الرسائل إلى الملوك أنيطت إلى العلاء بن الحضرمي مهمة تبليغ رسالته إلى المنذر بن ساوى حاكم البحرين، الذي ولاه النبي ﷺ عليها. ولما أتى العلاء بن الحضرمي المنذرَ بن ساوى يدعوه إلى الإسلام أسلم، وكان ردُّه: «قد نظرت في هذا الذي في يديّ فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فرأيته للآخرة والدنيا فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت؟ ولقد عجبت أمس ممن يقبله، وعجبت اليوم ممن يرده. وإن من إعظام من جاء به أن يعظم رسوله، وسأنظر والله أعلم.»[١٠]

وتوفي النبي ﷺ والعلاء والٍ على البحرين، فأقرّه أبو بكر في خلافته كلها، ثم أقرّه عمر إلى أن توفي في خلافته رضي الله عنهما. ورد في طبقات ابن سعد أن أهل البحرين شكوا العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ، فعزله واستعمل أبانَ بن سعيد على البحرين.

ولما وقعت الردة والتمرد في البحرين بعد وفاة النبي ﷺ، رجع إبان إلى المدينة وترك منصب العامل. فأراد أبو بكر ﷺ أن يبعثه إلى البحرين ثانية فاعتذر وقال ما كنت لأعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ. فدعا سيدنا أبو بكر العلاءَ بن الحضرمي، وبعثه إلى البحرين عاملا عليها، وظل يعمل بهذا المنصب حتى الممات. (١١)

كان العلاء ﷺ معروفا باستجابة الدعاء، وقد جاءت روايات شتى بهذا الصدد. وكان أبو هريرة ﷺ يقول إني معجب جدا بمحاسن العلاء واستجابة دعائه. ومن الأمور الكثيرة التي ذكر أبو هريرة عن العلاء رضي الله عنهما أن العلاء خرج في سفر من المدينة إلى البحرين ذات مرة، ونفد الماء خلال هذا السفر، فدعا الله تعالى، فرأى عين ماء قد انفجرت من تحت الرمال، فشربنا الماء حتى ارتوينا.

وكان أبو هريرة ﷺ يقول: خرجت مع العلاء من البحرين إلى البصرة مع الجنود، فلما كنا بلياس مات، (ولياس قرية في ديار بني تميم) ونحن على غير ماء، فأظهر الله لنا سحابة فأمطرت علينا، فغسلناه وحفرنا له بسيوفنا، ولم نلحد له، ودفنّاه ومضينا. ثم رجعنا بعد فترة لنلحد له، فلم نجد موضع قبره. (١٢)

وهناك اختلاف في الروايات عن وفاة العلاء بن الحضرمي ﷺ، فمنهم من يرى أنه توفي في العام الرابع عشر من الهجرة، ومنهم من يرى أن وفاته كانت في الحادي والعشرين الهجري.

أحوال البحرين زمن الردة

كانت البحرين تحت حكم ملوك الحيرة، وكانوا تابعين لكسرى الفرس. وكانت الحيرة مقر ملوك العراق قبل الإسلام. وكانت المدن الساحلية والتجارية للبحرين مختلطة السكان من الفرس والنصارى واليهود والزُّطّ. وكان الفرس مسيطرين على تجارة العرب. كانت هناك جماعة من التجار الذين جاءوا من الهند وفارس، وسكنوا المناطق الساحلية ما بين مصب نهر الفرات حتى عدن، وتزوجوا مع أهالي هذه المناطق، وقد أُطلق على نسلهم «الأبناء».

وكانت تقيم خلف المدن الساحلية ثلاث قبائل كبيرة وفروعها المتعددة، إحداها بكر بن وائل، والثانية عبد القيس، والثالثة ربيعة. وكانت عائلات عديدة منها مسيحية. كانت مهنتهم تربية الخيول والجمال والماعز وزراعة بساتين النخيل. كانت أمور هذه القبائل تدار من قِبل زعماء محليين كانوا يتمتعون بثقة ملوك الحيرة. وكان أحدهم المنذر بن ساوى. كان يعيش في منطقة هَجْر بالبحرين، وكان زعيم قبيلة عبد القيس ما حول هجر. كان وفدان قد حضرا من قبيلة عبد القيس إلى رسول الله ﷺ، أحدهما في العام الخامس الهجري، وقد ضم ثلاثة عشر أو أربعة عشر فردًا، والوفد الثاني حضر إلى النبي ﷺ في عام الوفود أي في العام التاسع الهجري، وكان يضم ٤٠ شخصا بمن فيهم الجارود، الذي كان نصرانيا، فأسلم حين وفد إلى النبي ﷺ، وفي رواية أنه أسلم قبل مجيء هذا الوفد إليه ﷺ.

قَبِلَ الفرس والمسيحيون واليهود المقيمون في هَجْر على مضضٍ على دفع الجزية. وظلت بقية قرى البحرين ومدنها غير مسلمة، وكانوا يثورون من حين لآخر كلما سنحت لهم الفرصة. عندما أسلم المنذر بن ساوى أبقاه النبي ﷺ حاكمًا على البحرين، وبعد إسلامه بدأ دعوة قومه إلى دين الحق، وأوفد الجارود بن المعلى إلى النبي ﷺ لتحصيل علوم الدين والتربية الدينية. وصل الجارود إلى المدينة ونال علم أحكام الإسلام وتعاليمه، ثم رجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام ويثقفهم بتعاليمه. وبعد وفاة رسول الله ﷺ بأيام مات المنذر أيضا، فارتدت العرب وغيرهم كلهم جميعا. وقالت بنو عبد القيس: لو كان محمد (ﷺ) نبيا لما مات، وارتدوا كلهم. فلما علم الجارود بن المعلى بذلك، وكان من أشراف قومه وقد تلقى التربية الدينية في المدينة، وكان ممن هاجر إلى النبي ﷺ، وكان خطيبا مفوهًا،

جمع الذين ارْتَدُّوا بسبب وفاة النبي ﷺ، ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَهُمْ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ عَبْدِ الْقَيْسِ، إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ أَمْرٍ فَأَخْبِرُونِي بِهِ إِنْ عَلِمْتُمُوهُ وَلا تُجِيبُونِي إِنْ لَمْ تَعْلَمُوا، قَالُوا: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، قَالَ:

تَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَانَ لله أَنْبِيَاءٌ فِيمَا مَضَى؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُونَهُ أَوْ تَرَوْنَهُ؟ قَالُوا: لا بَلْ نَعْلَمُهُ، قَالَ: فَمَا فَعَلُوا؟ قَالُوا: ماتوا، قال: فإن محمدا ﷺ مَاتَ كَمَا مَاتُوا، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدا عبده ورسوله، (حين سمعوا هذا الخطاب) قَالُوا: وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّكَ سَيِّدُنَا وَأَفْضَلُنَا، وَهكذا ثَبَتُوا عَلَى إِسْلامِهِمْ. (١٣)

استعدّ العرب وغيرهم جميعا للقضاء على حكم المدينة، وشجعتهم على ذلك الحكومة الفارسية، وسلّمت مهمة التمرد قائدا عربيا عظيما. حين رأى مندوب رسول الله ﷺ في هَجَر أبان بن سعيد آثار التمرد الرهيب عاد إلى المدينة. (١٤)

كان بنو عبد القيس أسلموا ولكن القبائل الأخرى في البحرين ثبتوا على ارتدادهم تحت إمرة حطم بن زبيعة. (١٥) وردّوا المُلك إلى آل المنذر إذ جعلوا المنذر بن النعمان مَلِكهم. وورد في رواية أنهم حين عزموا جعْل المنذر بن النعمان ملكهم خَرَجَ نَفَرٌ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ وَأَهْلِ الشَّرَفِ فِيهِمْ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى كِسْرَى مَلِكِ الْفُرْسِ، فَاسْتَأْذَنُوا عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَحَيَّوْهُ بِتَحِيَّةِ الْمُلُوكِ. فَقَالَ كِسْرَى: «مَا الَّذِي أَقْدَمَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ»، فَقَالُوا: «أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ مَضَى ذَلِكَ الرَّجُلُ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِي كَانَتْ قُرَيْشٌ وَسَائِرُ مُضَرَ يَعْتَزُّونَ بِهِ، يَعْنُونَ بِذَلِكَ رسول الله ﷺ، وَقَدْ قَامَ بَعْدَهُ خَلِيفَةٌ لَهُ ضَعِيفُ البدن، ضَعِيفُ الرَّأْيِ، (هذا كان رأيهم في أبي بكر ﷺ) وَقَدِ انْصَرَفَ عَامِلُهُ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَبِلادُ الْبَحْرَيْنِ الْيَوْمَ ضَائِعَةٌ لَيْسَ بِهَا أَحَدٌ مِمَّنْ هُوَ عَلَى دِينِ الإِسْلامِ، إِلا شِرْذِمَةٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، وَلَيْسَ هُمْ عِنْدَنَا بِشَيْءٍ، وَنَحْنُ أَكْثَرُ مِنْهُمْ خَيْلا وَرَجْلا، وَلَوْ بَعَثْتَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ رَجُلا يَأْخُذُهَا، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُمَانِعُهُ عَلَيْهَا. فَقَالَ لَهُمْ كِسْرَى: مَنْ تُحِبُّونَ أَنْ أُوَجِّهَ مَعَكُمْ إِلَى الْبَحْرَيْنِ، قَالُوا: مَنْ أَحَبَّ الْمَلِكُ، قَالَ: فَمَا تَقُولُونَ فِي الْمُنْذِرِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ، فَقَالُوا: أَيُّهَا الْمَلِكُ، هُوَ لَنَا رِضًا، وَمَا نُرِيدُ بِهِ بَدَلا. فَأَرْسَلَ كِسْرَى إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ النُّعْمَانِ، فَدَعَاهُ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ غُلامٌ حَدَثُ السِّنِّ حِينَ بَقِلَ وَجْهُهُ فَخَلَعَ عَلَيْهِ بِخِلَعٍ، وَتَوَّجَهُ بِتَاجٍ وَحَمَلَهُ عَلَى مِائَةٍ مِنَ الْخَيْلِ، وَضَمَّ إِلَيْهِ سَبْعَةَ آلافٍ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ،... أَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ مَعَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، فَقَالُوا: وَمَعَهُمْ أَبُو ضُبَيْعَةَ الْحُطَمُ بْنُ زَيْدٍ، وَظَبْيَانُ بْنُ عَمْرٍو، وَمُسْمِعُ بْنُ مَالِكٍ.» (١٦)

ثم إنهم حاولوا أن يصرفوا الجارود والذين معه عن إسلامهم، فذهبت محاولتهم سدى، عند ذلك خرج الحطم حتى نزل القطيف وهجر واستغوى من بهما من الأبناء، كما ضم إليه من لم يكن دخل في الإسلام من قبل. (١٧)

وَاجْتَمَعَتْ عَبْدُ الْقَيْسِ إِلَى رَئِيسٍ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ يُقَالُ لَهُ: الْجَارُودُ بْنُ الْمُعَلَّى الْعَبْدِيُّ فِي أَرْبَعَةِ أَلْفٍ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ وَأَحْلافِهِمْ وَعَبِيدِهِمْ وَمَوَالِيهِمْ. وَدَنَتْ مِنْهُمْ بَنُو بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فِي تِسْعَةِ أَلْفٍ مِنَ الْفُرْسِ، وَثَلاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْعَرَبِ، فَاقْتَتَلَ الْقَوْمُ قِتَالا شَدِيدًا، فَكَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ نَفَرٌ كَثِيرٌ وَمِنَ الْفُرْسِ، ثُمَّ اقْتَتَلُوا قِتَالا شَدِيدًا ثَانِيَةً، فَكَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى عَبْدِ الْقَيْسِ، فَانْتَصَفَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَدَامَ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ أَيَّامًا كَثِيرَةً حَتَّى قُتِلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، وَاسْتَأْمَنَ عَامَّةَ عَبْدِ الْقَيْسِ إِلَى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ. فَعِنْدَهَا عَلِمَتْ عَبْدُ الْقَيْسِ أَنَّهُ لا طَاقَةَ لَهُمْ مَعَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، فَانْهَزَمُوا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى صَارُوا إِلَى حِصْنٍ لَهُمْ بِأَرْضِ هَجَرَ يُقَالُ لَهُ جَوَاثِيُّ فدخلوه، (والجواثي قرية من قرى البحرين حيث تمت صلاة الجمعة أولا بعد المسجد النبوي، فورد في صحيح البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ جُمُعَةٍ جُمِّعَتْ بَعْدَ جُمُعَةٍ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَسْجِدِ عَبْدِ الْقَيْسِ بِجُوَاثَى مِن الْبَحْرَيْنِ. صحيح البخاري، كتاب الجمعة) وَأَقْبَلَتْ بَنُو بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَالْفُرْسُ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْحِصْنِ فَأَحْدَقُوا بِهِ، فَحَاصَرُوا عَبْدَ الْقَيْسِ حِصَارًا شَدِيدًا، وَمَنَعُوهُمْ مِنَ الطَّعَامِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَوْفٍ الْعَبْدِيُّ (وقيل هو عبد الله بن حذف) هَذِهِ الأَبْيَاتِ التي أظهر فيها عجزهم وضعفهم وتحمُّلهم وصبرهم، (هي قصيدة طويلة بعض الشيء)، يَقُولُ: من (كتاب الردة للواقدي)

أَلا أَبْلِغْ أَبَا بَكْرٍ رَسُولا وَفِتْيَانَ الْمَدِينَةِ أَجْمَعِينَا
فَهَلْ لِي فِي شَبَابٍ مِنْكَ أَمْسَوْا جِيَاعًا فِي جَوَاثِيَ مُحْصَرِينَا
كأن دماءهم في كلّ فجّ شعاع الشمس يغشى الناظرينا
تُحَاصِرُهُمْ بَنُو ذُهْلٍ وَعِجْلٍ وَشَيْبَانَ وقيس ظَالِمِينَا
يَقُودُهُمُ الْغَرُورُ بغير حقّ ليستلب العقائل والبنينا
فَلَمَّا اشْتَدَّ حَصْرُهُمُ وَطَالَتْ أَكُفُّهُمُ بِمَا فِيهِ بُلِينَا
تَوَكَّلْنَا عَلَى الرَّحْمَنِ إِنَّا وَجَدْنَا الْفَضْلَ لِلْمُتَوَكِّلِينَا
وقلنا قد رضينا الله ربّا وبالإسلام دينا قد رضينا
وَقُلْنَا وَالأُمُورُ لَهَا قَرَارٌ وَقَدْ سَفِهَتْ حُلُومُ بَنِي أَبِينَا
نُقَاتِلُكُمْ عَلَى الإِسْلامِ حَتَّى تَكُونُوا أَوْ نَكُونَ الذَّاهِبِينَا
بِكُلِّ مُهَنَّدٍ عَضْبٍ حُسَامٍ يَقُدُّ الْبِيضَ وَالزُّرْدَ الدَّفِينَا

(والغَرور هو المنذر بن النعمان بن المنذر) ...

فهذه كانت رسالة أرسلها العبدي بصورة قصيدة.

فَلَمَّا نَظَرَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ فِي هَذِهِ الأَبْيَاتِ اغْتَمَّ فِيهِ غَمًّا شَدِيدًا لِمَا يَكُونُ فِيهِ مِنْ ذِكْرِ عَبْدِ الْقَيْسِ...فَدُعِيَ بِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَالُ لَهُ الْعَلاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيّ، فَعَقَدَ لَهُ عَقْدًا وَضَمَّ إِلَيْهِ أَلْفَيْ رَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ إِلَى نُصْرَةِ عَبْدِ الْقَيْسِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: انْظُرْ يَا عَلاءُ، لا تَمُرُّوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ إِلا اسْتَنْهَضْتَهُمْ إِلَى مُحَارَبَةِ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَتَوْا بِالْمُنْذِرِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ مِنْ عِنْدِ كِسْرَى مَلِكِ الْفُرْسِ، وَقَدْ عَقَدُوا التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَدْ عَزَمُوا عَلَى إِطْفَاءِ نُورِ اللَّهِ، وَقَتْلِ أَوْلِيَاءِ اللهِ، فَسِرْ وَقُلْ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ. [١٨] (أي لا قدرة لأحد على اجتناب سيئة ولا على كسب حسنة إلا بالله)

فانطلق العلاء بن الحضرمي ولما مر بقرب اليمامة لحقه ثمامة بن أثال بن حنيفة مع جماعته، كما لحقه أسامة وكذلك قيس بن عاصم مع قبيلته بني تميم. كان قيس بن عاصم من قبل من منكري الزكاة فكفّ إرسال زكاة القبيلة إلى المدينة وردّ إلى الناس ما كان قد جُمع من أموال الزكاة. وعندما غلب خالد بن وليد بني حنيفة في اليمامة رأى قيس بن عاصم حكمة في الاستسلام أمام المسلمين، وجمع الزكاة من قبيلته بني تميم، ولحق بجيش العلاء بن الحضرمي. فانطلق العلاء بن الحضرمي بجيشه إلى البحرين مرورا بالدهناء. (الدهناء موقع بني تميم في الطريق من البصرة إلى مكة) يتابع الراوي:

فلما وصلنا في نصف الطريق أَمَرَ النَّاسَ بِالنُّزُولِ، فَنَفَرَتِ الإِبِلُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَمَا بَقِيَ عِنْدَنَا بَعِيرٌ وَلا زَادٌ وَلا مَزَادٌ وَلا بِنَاءٌ إِلا ذَهَبَ عَلَيْهَا فِي عَرَضِ الرَّمْلِ، وَذَلِكَ حِينَ نَزَلَ النَّاسُ وَقَبْلَ أَنْ يَحُطُّوا. فَمَا عَلِمْتُ جَمْعًا هَجَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْغَمِّ مَا هَجَمَ عَلَيْنَا حتى ييئس الناس من حياتهم وَأَوْصَى بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ، وَنَادَى مُنَادِي الْعَلاءِ: اجْتَمِعُوا، فَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي ظَهَرَ فِيكُمْ وَغَلَبَ عَلَيْكُمْ؟ فَقَالَ النَّاسُ: وَكَيْفَ نُلامُ وَنَحْنُ إِنْ بَلَغْنَا غَدًا لَمْ تَحِمْ شَمْسُهُ حَتَّى نَصِيرَ حَدِيثًا! فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، لا تُرَاعُوا، أَلَسْتُمْ مُسْلِمِينَ! أَلَسْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ! أَلَسْتُمْ أَنْصَارَ اللهِ!

قالوا: بلى، قال: فابشروا، فوالله لا يَخْذُلُ اللَّهُ مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالِكُمْ وَنَادَى الْمُنَادِي بِصَلاةِ الصُّبْحِ حِينَ طَلَعَ الْفَجْرُ فَصَلَّى بِنَا، وَمِنَّا الْمُتَيَمِّمُ، وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَزَلْ عَلَى طُهُورِهِ. فَلَمَّا قَضَى صَلاتَهُ جَثَا لِرُكْبَتَيْهِ وَجَثَا النَّاسُ، فَنَصَبَ فِي الدُّعَاءِ وَنَصَبُوا مَعَهُ، فَلَمَعَ لَهُمْ سَرَابُ الشَّمْسِ، فَالْتَفَتَ إِلَى الصَّفِّ، فَقَالَ: رَائِدٌ يَنْظُرُ مَا هَذَا؟ فَفَعَلَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: سَرَابٌ، فَأَقْبَلَ عَلَى الدُّعَاءِ، ثُمَّ لَمَعَ لَهُمْ آخَرُ فَكَذَلِكَ، ثُمَّ لَمَعَ لَهُمْ آخَرُ، فَقَالَ: مَاءٌ، فَقَامَ وَقَامَ النَّاسُ، فَمَشَيْنَا إِلَيْهِ حَتَّى نَزَلْنَا عَلَيْهِ، فَشَرِبْنَا وَاغْتَسَلْنَا. (فقد تفجّر ينبوع الماء هنالك) فَمَا تَعَالَى النَّهَارُ حَتَّى أَقْبَلَتِ الإِبِلُ تكرد مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَأَنَاخَتْ إِلَيْنَا، فَقَامَ كُلُّ رَجُلٍ إِلَى ظَهْرِهِ، فَأَخَذَهُ، فَمَا فَقَدْنَا سَلكًا فَأَرْوَيْنَاهَا وَأَسْقَيْنَاهَا العلل بَعْدَ النَّهْلِ، وَتَرَوَّيْنَا ثُمَّ تَرَوَّحْنَا. (أي حدثت معجزة إجابة الدعاء هنالك أن الله أخرج ماء وعادت الإبل أيضا وسقاها الناس)

يقول منجاب بن راشد: وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَفِيقِي- فَلَمَّا غِبْنَا عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ، قَالَ لِي: كَيْفَ علمك بموضع ذلك الماء؟ فقلت: أَنَا مَنْ أَهْدِي الْعَرَبَ بِهَذِهِ الْبِلادِ قَالَ: فَكُنْ مَعِي حَتَّى تُقِيمَنِي عَلَيْهِ، فَكَرَرْتُ بِهِ، فَأَتَيْتُ بِهِ عَلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ بِعَيْنِهِ، فَإِذَا هُوَ لا غَدِيرَ بِهِ، وَلا أَثَرَ لِلْمَاءِ، فَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ لَوْلا أَنِّي لا أَرَى الْغَدِيرَ لأَخْبَرْتُكَ أَنَّ هَذَا هُوَ الْمَكَانُ، وَمَا رَأَيْتُ بِهَذَا الْمَكَانِ مَاءً نَاقِعًا قَبْلَ الْيَوْمِ، وَإِذَا إِدَاوَةٌ مَمْلُوءَةٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا سَهْمٍ، هَذَا وَاللَّهِ الْمَكَانُ. وَلِهَذَا رَجَعْتُ وَرَجَعْتُ بِكَ وَمَلأْتُ إِدَاوَتِي ثُمَّ وَضَعْتُهَا عَلَى شَفِيرِهِ، فَقُلْتُ: إِنْ كَانَ مَنًّا مِنَ الْمَنِّ وَكَانَتْ آيَةً عَرَفْتُهَا، وَإِنْ كَانَ غِيَاثًا عَرَفْتُهُ، فَإِذَا مَنٌّ مِنَ الْمَنِّ، فَحَمَدَ اللهَ، ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى نَنْزِلَ هَجَر. (١٩)

وَكَتَبَ الْعَلاءُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَجَّرَ لَنَا الدَّهْنَاءَ فَيْضًا لا تُرَى غَوَارِبُهُ، وَأَرَانَا آيَةً وَعِبْرَةً بَعْدَ غَمّ وَكَرْبٍ، لِنَحْمَدَ اللَّهَ وَنُمَجِّدَهُ، فَادْعُ اللَّهَ وَاسْتَنْصِرْهُ لِجُنُودِهِ وَأَعْوَانِ دِينِهِ. (هذا ما كتبه العلاء إلى أبي بكر ﷺ في تقريره، أخبره فيه ما جرى بعد توفّر الماء) فَحَمَدَ أَبُو بَكْرٍ اللَّهَ وَدَعَاهُ، وَقَالَ: مَا زَالَتِ الْعَرَبُ فِيمَا تُحَدِّثُ عَنْ بُلْدَانِهَا يَقُولُونَ: إِنَّ لُقْمَانَ حِينَ سُئِلَ عَنِ الدَّهْنَاءِ: أَيَحْتَفُرُونَهَا أَوْ يَدَعُونَهَا؟ نَهَاهُمْ، وَقَالَ: لا تبلغها الأرشية، وَلَمْ تقر الْعُيُونُ، وَأَنَّ شَأْنَ هَذَا الْفَيْضِ مِنْ عَظِيمِ الآيَاتِ، وَمَا سَمِعْنَا بِهِ فِي أُمَّةٍ قَبْلَهَا. (٢٠)

إذن، فقد شاهد الصحابة الذين كانوا يخرجون في سبيل الله هذا النوع من المعجزات. وللحديث بقية سأسردها لاحقا بإذن الله.

الهوامش:

١. أجياد: موضع متصل بجبل الصفا بمكة حيث رعى رسول الله ﷺ الغنم
٢. أبو الحسن بن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة،
٣. ابن كثير، البداية والنهاية
٤. ابن سعد، الطبقات الكبير، المجلد ٤، الحديث ٤٦١٢
٥. الدياربكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس
٦. انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب
٧. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة
٨. سبب تسميته بالفجاءة لأنه كان يهاجم المسافرين والقرى فجأة ويسلب منهم وينهب منهم
٩. ابن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣
١٠. نور الدين الحلبي، السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)
١١. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى
١٢. انظر: المرجع السابق
١٣. ابن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢
١٤. انظر: الرسائل الحكومية لأبي بكر (رض)
١٥. هو شريح بن ضبيعة، أحد بني قيس بن ثعلبة، والحطم لقبه، أسلم ثم ارتد
١٦. محمد بن عمر الواقدي، فتوح البلدان، ج١، ص١٠١، «كتاب الردة» لنفس المؤرخ
١٧. محمد حسين هيكل، الصديق أبو بكر t، ص١٤٥
١٨. محمد بن عمر الواقدي، كتاب الردة
١٩. ابن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك
٢٠. نفس المرجع السابق

تَحَقُّقُ نُبُوءَةِ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا..

مصر
سامح مصطفى

نقطة الانطلاق: مواعيد الله

النبوءات الغيبية بمثابة مواعيد الله ﷻ، وهو الذي لا يخلف أبدا وعده أو ميعاده، سبحانه وتعالى، وقد صرَّح ذلك الإله الأكمل بذلك عن نفسه نحو ثلاث مرات في القرآن الكريم، حيث يقول ﷻ: ﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ.﴾[1]، ويقول أيضًا: ﴿وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ.﴾[2] ويقول: ﴿...لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ.﴾[3]

وعلاوة على ما سبق، ثمة شهادات بهذا الخصوص ينقلها القرآن الكريم أيضا على لسان حال جماعات المؤمنين في كل العصور، حيث يقولون: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ.﴾[4]

فحفظ المواعيد والوفاء بالوعود والعهود من شيم الكرام والمحترمين من الناس، ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض، فكل صفة حميدة يكتسبها الإنسان، إنما هي اسم أصيل له ﷻ. لذا فسنتخذ من هذا المبدأ نقطة انطلاق أولى لسبر أغوار هذا الموضوع، أي أن مواعيد الله حتمية التحقق..

آيةٌ ورِواية، وسوء فهم

الجميع يستندون في اعتقاداتهم، على الأغلب، إلى نصوص

> أن يرى الناس بأعينهم الشمس، تلك الكرة الغازية الملتهبة، تشرق من مغربها أمر ينطوي على تناقض لامنطقي، فأنْ تُغيِّر الأرض اتجاه دورانها، يعني أنها يجب أن تتوقف بدايةً، أو على الأقل تغير اتجاه دورانها بشكل فجائي، مما يؤدي إلى انهيار نظام المنظومة الشمسية بأكمله،

متواترة، ومن هذه الناحية ليس ثمة خلاف البتة بين جمهور المسلمين خاصتهم وعامتهم، إنما يدب الخلاف حين تتغير معايير الفهم والإدراك، وحين تتباين طرق تناول النص وقراءته، وتحديدا حينما تتدخل الأهواء الشخصية، لتكون في مواجهة مع الموضوعية العلمية والمنطقية العقلية التي طالما نادى بها تعليم القرآن نفسه، بما يفسر تكرار مادة «ع ق ل» وحدها تسعا وأربعين مرة في القرآن الكريم، ما يُظهِر ضرورة اتخاذ العقل معيارا للتمييز بين الممكن والمستحيل، وهذه إحدى وظائفه الأبرز، إلى جانب ربط الجزئيات وصولا إلى الحقائق الكلية. وبالمناسبة، فإن ما ندعوه في هذا السياق مستحيلا، يدعوه البعض الآخرون وحيا حتمي التحقق، وبقولهم هذا وقعوا، عامدين أو مرغمين، في دائرة «كلمة حق يُراد بها باطل»[٥]، لذا فإنه يجب علينا أن نبذل مساعينا محاولين إزالة ما وقعوا فيه من سوء فهم، ببيان دور العقل والوحي كل منهما بالنسبة للآخر.. وهذا البيان اضطلع بإعلانه المسيح الموعود عليه السلام حين ذكر في رائعته «البراهين الأحمدية» ضرورة كل من العقل والوحي بالنسبة لبعضهما البعض، وبالتالي سنفهم من كلام حضرته كيف يمكننا فهم كافة النبوءات التي تشكل وحيا صرفا، بأسلوب يتفق ومبادئ العقل، يقول حضرته عليه السلام: «... فمع أن شهادة الإلهام موثوق بها جدا، وعليها يتوقف استكمال مراتب اليقين، ولكن لو أن كتابا يدَّعي أنه موحى، علم أمرا تعاكسه أدلة عقلية بينة، لاستحال أن يكون ذلك الأمر صحيحا، بل سيعد ذلك الكتاب الذي ورد فيه أمر يخالف العقل، باطلا ومحرفا أو مبدلا من حيث المعنى.»[٦]

وتطبيقًا على فهم نبوءة «طلوع الشمس من مغربها»، بوصفها واحدة من النبوءات الكثيرة التي كانت مثار العديد من النقاشات والفتاوى، والتي راق لطوائف المقلدين أن يتمثلوها تمثُّلا حرفيا يخالف ما يسير عليه الكون من سنن، سنختصر عرض تلك النبوءة في آية قرآنية تناولها حضرة خاتم النبيين ﷺ بالعرض على أصحابه في سياق حديثه المشهور، إذ قَالَ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا ثُمَّ قَرَأَ الْآيَةَ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ.﴾[٧]

الواقع أن كثيرا من التقليديين قد فهموا طلوع الشمس من مغربها فهما حرفيا يتنافى مع الحكمة الإلهية البادية في النص

القرآني. فأولا: يوم القيامة درج الكثيرون على فهمه بوصفه يوما ينهار فيه نظام الكون.. على الرغم من أن اللفظ يحمل معنًى إيجابيا، فالقيامة هي القيام والبناء و ليس الهدم والدمار. وثانيًا: أن يرى الناس بأعينهم الشمس، تلك الكرة الغازية الملتهبة، تشرق من مغربها أمر ينطوي على تناقض لامنطقي، فأنْ تُغيّر الأرض اتجاه دورانها، يعني أنها يجب أن تتوقف بدايةً، أو على الأقل تغير اتجاه دورانها بشكل فجائي، مما يؤدي إلى انهيار نظام المنظومة الشمسية بأكمله، بما يعنيه ذلك من اصطدام الأجرام ببعضها البعض، الأمر الذي يترتب عليه أن يلقى الناس حتفهم قبل أن يشاهدوا أصلا تلك الظاهرة الفلكية العجيبة.

فالحاصل أن أصحاب منهج تقليد السلف قد وقعوا في إشكالات ثلاثة حين تناولوا هذه القضية..

الإشكال الأول: أنهم فرطوا في أحد ساقي الفهم، ونعني هنا العقل والوحي، واللذان يعضد كل منهما الآخر ويدعمه ويقوّم مساره، وقد سلط المسيح الموعود الضوء على تلك العلاقة الجوهرية بينهما كما ذُكِر آنفا.

الاشكال الثاني: أنهم ساروا خلف وهمهم، الذي نرفضه شكلا وموضوعا، بقولهم أن السنة قاضية على القرآن، ويريدون من السنة المرويات تحديدًا، وبالتالي فقد حاولوا فهم النبوءة دون الرجوع الى القرآن، مع أن القرآن يفسر بعضه بعضا.

الاشكال الثالث: أنهم فهموا النص على ظاهره وحرفيته على الرغم من أنه يحمل نبوءة غيبية. ومعلوم أن النبوءات لا يمكن فهمها على الظاهر، وإنما ترد بهذا الشكل لأن عقول المتقدمين في الأزمان السالفة ما كانت لتستوعبها لو ذُكِرت بأسلوب يناسب المتأخرين.

الدلالة الحقيقية للنبوءة

إن من نبوءات الرسول محمد ﷺ الجلية الظاهرة في زمننا هذا طلوع الشمس من مغربها، حيث إنّ شمس الإسلام أضحت وما زالت تزدهر في العالم الغربي، بدءا من زمن المسيح الموعود عليه السلام. وما كان طلوعها من الغرب إلا أمارة أخرى تصدّق ظهور المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام. إن إحدى الميزات التي علّمَنَاها الإمام المهدي عليه السلام والتي تميّز الجماعة الإسلامية الأحمدية عن باقي الفئات ألّا نأخذ بأي حديث يخالف ولو حرفًا من القرآن الكريم، وفي الوقت ذاته لا نتسرّع في رفض أي حديث من أحاديث الرسول ﷺ، تعظيمًا لها. فلو بدا لنا أنَّ حديثًا خالفَ حكمًا من القرآن الكريم في الظاهر، فبدلًا من الإسراع في ردّ الحديث نحاول فكَّ شفرة المجاز فيه.

وهكذا إذا حاولنا تطبيق حديث طلوع الشمس تطبيقا بدائيا حرفيًّا على نص القرآن الكريم لوجدناه مخالفًا تمامًا لمنطوقه. حيث إنّ الله ﷻ ذكر في مواضع شتى في القرآن الكريم أنه لا يغيرّ ولا يبدّل سنته، ومن سنته ﷻ طلوع الشمس المادية من جهة المشرق الجغرافي. وعل أساس هذه السنة أفحم سيدُنا إبراهيمُ عليه السلام طاغية قومه، حيث جاء في القرآن حكاية عنه: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.﴾[٨]

ولكي نفهم هذه النبوءة العظيمة فهما سليمًا ينبغي علينا تتبع لفظة «الشمس» ودلالاتها في القرآن، وقد وردت لفظة «الشمس» عدة مرات في القرآن بما يعني هدي سيدنا محمد ﷺ، فكما أن الشمس تمد الأرض بالضوء للهداية والحرارة للدفء والحياة، فكذلك شريعة الإسلام المنزلة على سيدنا محمد فيها هداية، لقوله ﷻ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ

وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.﴾[٩] كذلك فإن هذه الشريعة نفسها فيها حياة، لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.﴾[١٠]

أما عن ذِكر «الشمس»، لفظًا أو معنى، بحيث يُراد من ذلك الذكر الهداية المحمدية، فالله ﷻ يقول: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا.﴾[١١] فالسراج هو الشمس كما لا يخفى، وأغلب المفسرين على اختلاف مذاهبهم أقروا بأن الشمس تعبير قرآني عن الهداية المحمدية.

ونأتي الآن إلى توضيح النبوءة المستقبلية في الحديث بناء على تلك الدلالة، حيث يخبر النبي ﷺ أمته بأن هدايته بعد أن تكاد تُنسى، وتمسي أمته أحط الأمم بعد أن كانت خير الأمم، فإن الزمان سيدور دورته ويشرق الهدي المحمدي من جديد، وهذه الدورة بحد ذاتها إحدى السنن الثابتة، لقوله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ.﴾[١٢] وبناء عليه فستأخذ شمس الإسلام الحنيف في الطلوع مجددا، ولكن هذه المرة من غرب العالم، من بلاد كانت تُعَدُّ معقِل العداء للإسلام، فسنشهد ارتفاع صوت الحق من أوروبا وأمريكا اللتين حملتا راية المسيحية إلى وقت قريب.

صيغة مادية لتحقق النبوءة يقبلها العقل وتتفق مع النقل

النبوءة المستقبلية في الحديث لا تخلو من جانب مادي أيضا.. لقد أوحى ﷻ إلى نبيه ﷺ أنَّ دعوته ستأخذ في الانتشار من جهة غرب العالم في عصر تزدهر فيه وسائل المواصلات وتتميز بالسرعة بحيث تسبق الشمس إلى مغيبها.. إن من يستقل طائرة متجها نحو الغرب يجد أن النهار يطول، حيث إنه يغادر المكان الذي تغرب فيه الشمس إلى مكان آخر ما زالت الشمس مشرقة فيه، ونظرا إلى السرعة النسبية للطائرة فإن الراكب يرى الشمس تشرق أمامه (من جهة الغرب).. هذا مشهد أصبح مألوفا لدى ألوف، بل ملايين المسافرين جوًّا، وقد رآه كاتب المقال بأم عينيه حين استقل طائرة ميمما شطر الغرب، وانطلقت وقت غروب الشمس في مطار الإقلاع، ثم لم تكد تمر دقائق حتى رأى الشمس تطلع أمامه طلوع الفجر، إذ لم يكن وقت غروبها قد حان في نقطة الوصول بعد، ولكن وسيلة المواصلات المستقَلَّة حينذاك هي ما سبق الشمس قبل أن تغرب.

ويظل التوفيق بين فهم النبوءة بصورة مادية وفهمها بصورة روحانية أمرًا يظهر من بين ثناياه عظمة القرآن الكريم وعظمة خاتم النبيين ﷺ، لا سيما إذا كانت مثل هذه النبوءات لا تزال تتحقق إلى زمننا هذا، ومن مظاهر ذلك التحقق الجلية انتشار المسلمين في البلدان الغربية، سواء بالهجرة أو الاعتناق، الأمر الذي ترتب عليه حركة إعمار للمساجد بشكل غير مسبوق في بلدان الغرب التي كانت إلى وقت قريب ترفع راية المسيحية بشكل مُعْلَن. لقد ذكر المسيح الموعود عليه السلام في سياق تأويله لبعض رؤاه وكشوفه التي تلقاها من الله ﷻ خلال عام ١٨٩١م أنّ أعدادًا كبيرة من الناس في الغرب سينضمون إلى الجماعة سواء من المسلمين أو من أهل الأديان والأقوام الأخرى، فقال عليه السلام ما تعريبه: «ولقد رأيتُني في المنام ذات مرة أني قائم على منبرٍ في مدينة لندن، وأبيّن صدق الإسلام باللغة الإنجليزية بيانًا مدعوما بالحجج القوية، وبعدها أمسكتُ طيورا بيضاء كثيرة كانت على أشجار صغيرة، ولعلها كانت بحجم السُّمَاني. ففسرت الرؤيا أنه وإنْ لم يُكتب لي شخصيًا الذهاب إلى هنالك، إلا أن كتاباتي ستنتشر بين أولئك القوم، وأن كثيرا من الإنجليز

الصادقين سيكونون صيدًا للحق.»[١٣]

صورة من صور التحقق الروحاني للنبوءة، زينب وأخواتها

في إطار بيان صورة روحية لتحقق نبوءة طلوع شمس الهداية الإسلامية من جهة الغرب، اقتطف الداعية مصلح الدين شنبور، وهو مُرَبٍّ في كندا، شيئا من ثمار تبشير الصحابي مفتي محمد صادق ﷺ في أمريكا حيث بلّغ وبشّر إحدى الأخوات الأمريكيات، وتدعى «بارتون»، بحقيقة الإسلام وأثره في الفطرة الإنسانية، وقد أسفرت جهود التبشير والتبليغ تلك عن اعتناقها دين الإسلام، وبيعتها الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام على يد حضرة الخليفة الثاني ﷺ، فأصبحت تُدعى «زينب». فقد ذكر مفتي محمد صادق ﷺ في أحد تقاريره عن زيارته لديترويت بأمريكا عام ١٩٢٠ ما يلي: «لقد ألقيت محاضرةً يوم الأحد في الثالث عشر من يونيو، وكانت الصالة ممتلئة بالحاضرين. وبعد ذلك بايعت سيدة ذات وجاهة وجلال تُدعى «بارتون»، ودخلت الإسلام على يد هذا العبد المتواضع، وقد كنت من مدّة أبشرها بالإسلام عبر المراسلات. وقد أصبح اسمها بعد اسلامها زينب. وقد خالفها والداها وآخرون أيضًا بعد دخولها الإسلام. نطلب الدعاء من أمير المؤمنين لها لأن يثبتها الله على الاستقامة بفضله.»[١٤]

بعد استيعاب الأخت زينب لحقيقة الإسلام وفلسفته، نشأ في قلبها حرقة ولوعة مدهشة لنشر الإسلام في أمريكا. كما ذكرت في إحدى رسائلها إلى أحد الصحافيين قائلة:

«سيدي الأستاذ الصحافي سليمان أفندي بدور، أكتب إليك مُعربة عن رغبتي في إبداء انطباعاتي عن الإسلام، والتي جعلتني أعتقد أن أفضل طريق لذلك هو نشرها في صحيفة يطّلع عليها عموم القرّاء، وعندما جربت أن أقوم بذلك على صفحات الجرائد الإنجليزية مُنِيتُ بالإخفاق، على الأقل في الوقت الحاضر، وهذه البلاد المترامية الأطراف بأمس الحاجة إلى مبشرين كُثر ليُبذروا بذور الإسلام فيها. وقد جئت إليك طالبةً أن تنشر هذا التحرير كله، أو ما تشاء منه، بعد أن أخفقت في هذا المسعى حين توجهت إليه في الصحف الإنجليزية. ولو أنني عرفت قبل الآن مقدار السعادة والطمأنينة الحاصلتين لي من اعتناقي دين الإسلام، لما كنت تأخرت إلى الآن، ولكنها مشيئة الله، وأنا راضية بها.

إن أسبابا كثيرة جعلتني أعتنق الإسلام الذي محوره وخلاصته تسليم النفس كلية لله. ذلك وحده كافٍ ولكن يوجد علاوة عن ذلك أسباب أخرى.

ثم بساطة الإسلام وخلوّه من الأمور التي لا تقبلها القوة المدركة التي وهبنا إياها الله. فالإسلام طبيعي وحقيقي وقابل للعقل بحيث إنه في حال إدراكه يستحيل على الإنسان ردُّه. كذلك إنه دين خالٍ من العذابات الجسدية المُتَطَلَّبَة لأجل تطهير النفس.

ثمّ إن القرآن الكريم كتاب كامل، وهو يتضمن كل المطالب الإنسانية، ويُظهر غاية الله من خلق الإنسان. فبكلمات

إن أسبابا كثيرة جعلتني أعتنق الإسلام الذي محوره وخلاصته تسليم النفس كلية لله. ذلك وحده كافٍ ولكن يوجد علاوة عن ذلك أسباب أخرى. ثم بساطة الإسلام وخلوّه من الأمور التي لا تقبلها القوة المدركة التي وهبنا إياها الله. فالإسلام طبيعي وحقيقي وقابل للعقل بحيث إنه في حال إدراكه يستحيل على الإنسان ردُّه. كذلك إنه دين خالٍ من العذابات الجسدية المُتَطَلَّبَة لأجل تطهير النفس. ثمّ إن القرآن الكريم كتاب كامل، وهو يتضمن كل المطالب الإنسانية، ويُظهر غاية الله من خلق الإنسان.

ظاهرة مقنعة يشير إلى الطريق المؤدي إلى الحياة الأبدية. إن الإسلام يعترف بفضائل الأنبياء في كل الأزمنة والأمكنة. وليس ضروريا للحصول على غفران الله ورحمته اللجوء إلى وسيط، فإنّ الله ﷻ يُنعم بالقرب على كل من يأتي إليه. الإسلام دين حقيقي وذلك لأسباب لا تُحصى، ولو أن الملايين من مفكري أمريكا يتمعّنون كما يجب في الإسلام لاعتنقوه حالًا. ليت الكل يسمعون بالإسلام كي يعرفوا جماله وحَقِّيَّتَه! بشّروا به كل الأمم، ارفعوا مناره على رؤوس الجبال وقولوا إن إرادة الله هي وحدها الحية إلى الأبد. بشروا بأنّ الوقت قد قرُب حين تنتهي معاناة هذا العالم، وعندئذ يُعَرِّف الله ذويه. الإسلام جميل وجليل وصادق ومقدّس، جوهره التسليم التام لله الأحد. الإسلام هو الطريق والدليل إلى الجنة. إنّ زمن الحصاد قد قرُب، وملجؤنا الوحيد في الإسلام. عندما أكتب عن الإسلام أشعر كأنني أود أن أكتب إلى الأبد، فإنه الطريق النّيّر المضيء المؤدي إلى الحياة الأبدية. إنّ رغبة نفسي هي أن أحيا كي أُرْضِيَ الله، فإذا فزت بذلك فأنا راضية..... قبل إرسالي هذه الرسالة إليك كنت استشرت زوجي الكريم. وعلى كل حال أشكرك للطفك وعنايتك برسالتي هذه. ودمت لأختك في الإسلام».

دوجياك، ميتشيغن ١٠ يوليو ١٩٢٠».

الهوامش:

١ – (الرعد: ٣٢)

٢ – (الروم: ٧)

٣ – (الزمر: ٢١)

٤ – (آل عمران: ١٠)

٥ – هذه العبارة تُنسّب إلى الإمام علي بن أبي طالب t. قالها في حق الخوارج عندما رفعوا شعار «لا حكم إلا لله» بعد معركة صفين، مبينًا أن لفظ الشعار في ذاته حق، لكنهم أرادوا به باطلا، وهو شق عصا المسلمين والتمرد على الإمام.

٦ – مرزا غلام أحمد القادياني، «البراهين الأحمدية»، الطبعة العربية الأولى، ج٢، ص٥٤

٧ – (صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن)

٨ – (البقرة: ٢٥٩)

٩ – (النساء: ٢٧)

١٠ – (البقرة: ١٨٠)

١١ – (الفرقان: ٦٢)

١٢ – (الأنبياء: ١٠٥)

١٣ – مرزا غلام أحمد القادياني، «إزالة الأوهام»، ص ٣٧٧

١٤ – (الفضل ٢ أغسطس ١٩٢٠ ص ٢)

القَيْلُولَة..
تلك السُّنَّة المهجورة

في الأوساط التي يشتد فيها القيظ تشيع عادة أخذ سِنَة من النوم بعد الظهيرة، فيما يسمى بالقيلولة، والوقت الذي يقضي فيه الناس قيلولتهم يُعرف بوقت القائلة، وفي القرآن الكريم نجد ورودا لهذا اللفظ حيث قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ.﴾[1].. ف «قائلون» معناها داخلون في وقت القائلة، ومثلها «مصبحون»، أي في وقت الصباح. وقيلولة منتصف النهار يطلق عليها في الإنكليزية (Siesta)، والكلمة وإن كانت ترجع إلى أصل لاتيني كمعظم كلمات المعجم الإنكليزية الأخرى، إلا أن هذه تبدو وكأنها ذات جذور عربية، فلفظها يتفق مع معناها العربي، حيث تعني ست ساعات ابتداء من الفجر!

مصر
د. أحمد وائل

وتطبيق هذه الكلمة يلاحظ في دول البحر المتوسط، جنوبي أوروبا، وفي منطقة الشرق الأوسط، وشبه القارة الهندية، وأجزاء من الصين. ففي هذه الأماكن، تكون درجات الحرارة في منتصف النهار مرتفعة جدا مما يجعل العمل أو حتى مجرد السير أمرا شاقا، وفي حديث زيد بن عَمْرو بن نُفَيْل: «ما مُهاجِرٌ كمَن قال» وفي رواية: «ما مُهَجّر» والتَّهْجِيرُ: السَّيْرُ في الهَاجِرة (أي حر الظهيرة)، والقَيلُولَة: النَّومُ فيها؛ أي ليس المُتَعَنّى كالمُستَريح.[2]

القيلولة في السنة النبوية

ورغم كثرة الأبحاث العلمية التي تناولت القيلولة، ومع أهمية هذه الأبحاث، فإننا نشير إلى القيلولة على أنها سنة نبوية مهجورة، وحين يطبقها المسلمون يطبقونها اقتداء بالنبي ﷺ، حتى يكون في فعلها اتباع للنبي ﷺ ينال منه المسلم ثوابا من الله تعالى، مع ما فيها من الفوائد. ومن المعلوم أن القيلولة هي نومة وسط النهار، وكان من السنة أن يقيل المسلمون إذا كان الجو حارا، ويؤخرون

... ثمة العديد من الفوائد الأخرى لقيلولة منتصف النهار، وتلك الفوائد العلمية الرئيسية تتجلى في الصحة العصبية والقلبية، فتؤدي أيضا القيلولة إلى كفاءة في اليقظة والأداء. وعلى وجه الخصوص، في الوظائف التنفيذية للدماغ كأوامر التخطيط، التذكر، والقيام بعدة مهام بشكل ناجح. جميع هذه الأمور يمكن تأديتها بكفاءة بعد الحصول على قيلولة منتصف النهار.

صلاة الظهر، فيصلون جماعة، وليس فرادى، إلا يوم الجمعة، فإنهم كانوا يبكرون بالصلاة، ثم يقيلون بعدها. أخرج ابن ماجه بسنده عن سهل بن سعد الساعدي قال: «ما كنَّا نقيلُ ولاَ نتغدَّى إلاَّ بعدَ الجمعة»[٣]، وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال: «كُنَّا نُبَكِّرُ إلى الجُمُعَةِ، ثُمَّ نَقِيلُ.»[٤]

القيلولة في مختبرات العلم الحديث

مع أن النوم أمر لا مفر منه، على الرغم من ذلك، لا يحصل البشر عمومًا على قسط كافٍ من النوم، وتشير مجموعة متزايدة من الأبحاث إلى أن هذا النقص يؤثر سلبًا على الأداء اليومي، فضلًا عن النتائج الصحية طويلة الأمد. وقد ربطت الدراسات الوبائية عدم كفاية النوم بزيادة خطر الإصابة بالأمراض، بما في ذلك أمراض القلب والأوعية الدموية والأمراض الأيضية[٥]، والسكري، والسرطان، ومرض الزهايمر وأنواع الخرف الأخرى، بالإضافة إلى الوفاة المبكرة. وتُظهر الدراسات المختبرية التي تُقيّد النوم تجريبيًا وجود قصور في العديد من المجالات المعرفية، بما في ذلك الوظائف التنفيذية، والذاكرة طويلة الأمد، فضلًا عن معالجة المشاعر وتنظيمها. ويمكن أن يُنبئ عدم كفاية النوم لدى المراهقين، على المدى الطويل، بالاكتئاب، ومشاكل التفكير، وانخفاض الذكاء المتبلور، فضلًا عن خصائص بنية الدماغ. أما لدى كبار السن، فيمكن أن يُنبئ بظهور الأمراض المزمنة، بما في ذلك مرض الزهايمر. لقد ثبت أن الليالي المتكررة من النوم غير الكافي (على سبيل المثال، ثلاث إلى أربع ليال من أربع إلى ست ساعات من النوم) تؤدي إلى اضطراب إفراز الهرمونات، ورفع درجة حرارة الجسم ومعدل ضربات القلب، وتحفيز الشهية، وخلق خلل في التوازن بين فرعي الجهاز العصبي اللاإرادي عن طريق إطالة النشاط الودي وتقليل النشاط الترميمي اللاودي[٦].

وأيضا ثمة العديد من الفوائد الأخرى لقيلولة منتصف النهار، وتلك الفوائد العلمية الرئيسية تتجلى في الصحة العصبية والقلبية، فتؤدي أيضا القيلولة إلى كفاءة في اليقظة والأداء. وعلى وجه الخصوص، في الوظائف التنفيذية للدماغ كأوامر التخطيط، التذكر، والقيام بعدة مهام بشكل ناجح. جميع هذه الأمور يمكن تأديتها بكفاءة بعد الحصول على قيلولة منتصف النهار.

علاوة على ما سبق، يُجمع كثير من الباحثين على أن القيلولة تعزز الذاكرة والتركيز، وتفسح المجال أمام دورات جديدة من النشاط الدماغي في نمط أكثر ارتياحا. غير أن هذا لا يجب أن يؤخذ على إطلاقه، فقد شدد الباحثون على عدم الإطالة في القيلولة، لأن الراحة المفرطة قد تؤثر سلبا على نمط النوم العادي. وأشار الدكتور إيسكالانتي إلى أن الدول الغربية بدأت تدرج القيلولة في أنظمتها اليومية، وأوصى بقيلولة تتراوح بين ١٠ — ٤٠ دقيقة.. وتوفر القيلولة العديد من المزايا للبالغين الأصحاء، بما في ذلك:

- الاسترخاء
- تقليل الإجهاد
- زيادة اليقظة
- تحسن في المزاج
- أداء أفضل، بما في ذلك ردود فعل أسرع وذاكرة أفضل

فائدة القيلولة للطفل والمراهق

القيلولة كذلك لدى الأطفال مرتبطة بمعدل الذكاء، ويعزى إليها تحقيق إنجاز أكاديمي أفضل وتصرفات استيعابية. نتيجة الدراسات بهذا الخصوص تشير إلى أن من يحرصون على نوم القيلولة إلى مدة قصيرة وبانتظام قلما تنتابهم مشاكل عاطفية أو سلوكية..

وثمة تلميحات إلى أن قيلولة منتصف النهار تعزز الوظيفة الإدراكية في مرحلة المراهقة المبكرة. وفقا للدراسات العملية، المنتظمين على القيلولة لديهم أرجحية متزايدة في الدقة العالية في الانتباه الدائم الغير منقطع وفي مهام التفكير المنطقي والتي كانت مستقلة عن مدة وجودة النوم في الليل.

استسلم لقيلولتك!

يخطئ من يظن بأن قطع النهار كله في العمل المتواصل أمر محمود، بل إن اقتناص دقائق للقيلولة يتيح للمرء القدرة الذهنية على ترتيب الأفكار وكذلك من شأنه أن يعيد الجسم تركيب الأخلاط الحيوية وضبط ضغط الدم وما إلى ذلك.

وجد الباحثون أن القيلولة تحسن أداء الذاكرة بوجه عام، في حين أن الكافيين إما لا يؤثر إطلاقا أو أنه يزيد الأداء سوءا. ويشير الباحثون إلى أن الكافيين يعيق دمج مادة جديدة في الذاكرة طويلة المدى عن طريق زيادة المستويات في الناقل العصبي «آستيل كولين» في منطقة قرن آمون في الدماغ، وهو نفس الناقل العصبي الذي ينخفض طبيعيا أثناء النوم البطيء.

الهوامش:

١ – (الأَعراف: ٥)

٢ – انظر: أبو موسى المديني، المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث، تحت «ق ي ل»

٣ – أخرجه البخاري (٩٣٩)، ومسلم (٨٥٩)، وأبو داود (١٠٨٦)، والترمذي (٥٢٥)، وابن ماجه (١٠٩٩) جميعا بلفظه.

٤ – أخرجه ابن خزيمة (١٨٤١)، والبيهقي (٦٠١٤).

٥. مجموعة من المشاكل التي تحدث معًا وتزيد من خطر الإصابة بأمراض القلب والسكتة الدماغية ومرض السكري من النوع الثاني

6 — Sara C. Mednick, Should napping be recommended as a health behavior?, An official publication of the American College of Chest Physicians, November 1, 2024

أزمة ضمير،

أم أزمة تفسير؟!

مصر

أحمد الخطيب

إنهم يحفظون القرآن الكريم عن ظهر قلب، فما نالوا منه سوى حروفه، أما حدوده فضيعوها، وحينما يأخذون دينهم يأخذونه لبؤسهم وضياع حظهم من الإسرائيليات للأسف، وفي غيهم المستطيل هذا يُلغون سنن الكلام العربية التي بها يفهمون قواعد اللغة العربية لتأصيل خرافاتهم التي نقلوها من الإسرائيليات، مما ألغاه هؤلاء، ما يعود عليه الضمير في اللغة.. ولتقريب الفكرة نسوق مثالا مما كنا نتعلمه في دروس اللغة الإنكليزية في المدارس، فقد تعلمنا مثلا التفرقة بين العاقل وغير العاقل، حيث She ضمير يعود على المؤنثة الغائبة، و He ضمير يعود على المذكر الغائب، و They ضمير يعود على جمع الغائبين، ذكورا كانوا أو إناثا أو من كلا الجنسين، أما It فهو ضمير يعود على الغائب غير العاقل، مذكرا كان أو مؤنثا.

فحين نشرع في قراءة أحد أو بعض التفاسير التراثية للقرآن الكريم، نصطدم بواقع مؤلم، فقد تم إغفال أحد قواعد اللغة العربية لتأكيد الخرافة التى يروج لها من أئمة التفسير وغيرهم ممن نقلوا نقلا من مستنقع الإسرائيليات الآسن، ولن نُكثر الكلام فيما نقلوه هؤلاء، ولكن نكتفي بمثال واحد، وهو خرافاتهم ذائعة الصيت فيما باتوا يسمونه بلغة الحيوان ولغة الطير.

ففى كل لغات العالم وعلى رأسها اللغة العربية، اللغة الأوسع والأبلغ، نلحظ تفرقة واضحة بين العاقل وغير

العاقل، فلو قلت لك: هذه الأسود أكلن بقرة.. فَقَطْعًا لن يستقر في ذهنك نفس المعنى الذي يستقر فيه بسماع عبارة: هؤلاء الأسود أكلوا بقرة!

فالجملة الأولى (هذه الأسود أكلن بقرة) أتحدث فيها عن حيوانات غير عاقلة (الأسود) علماً أن الأسود جمع مذكر، إلا أنني أشرت إليها باسم إشارة يخص المفردة المؤنثة، فقلت «هذه»، ولم أقل: «هؤلاء»، لأن الأسود غير عاقلة، بينما الإشارة بـ «هؤلاء» يُفهم منها أن المشار إليه جمع عاقلين. وهذا ما نلحظه في الجملة الثانية (هؤلاء الأسود أكلوا بقرة)، فهنا أقصد مجموعة من الرجال وصفتهم بالأسود لشجاعتهم، أوشراستهم، فالحديث عن جمع عقلاء، ولا يوجد عقلاء على سطح الأرض سوى البشر.

ومن القرآن الكريم نستنبط هذه القاعدة الذهبية التي تلغي الخرافة القائلة بأن الحشرات والطيور تتحدث ولها لغة تتفاهم بها كتفاهم الناس فيما بينهم.

وهذا التمييز الواضح بين العاقل وغير العاقل مبثوث بين ثنايا القرآن الكريم ومنشور في آياته المنيرة.. فالله سبحانه وتعالى يقول على سبيل المثال: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ...﴾[1]، فلم يقل (خلقهما) في إشارته إلى الشمس والقمر.

فاستخدم الله الضمير العائد على جمع المؤنث في (خلقهن) على الرغم من أن الشمس والقمر مثنى، ذلك لأن الشمس والقمر لا عقل لهن، حتى إنه من الخطأ القول بأن لا عقل (لهما).

ومثال آخر نطلع عليه في سورة المائدة، حيث يقول تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[2]

ألا نلاحظ أن الحديث عن غير العاقل؟! أليست الجوارح (طيور) والكلاب (حيوانات) غير عاقلة؟! فقال سبحانه وتعالى: (تعلمونهن)، وقال: (مما أمسكن)، فكان استخدام جمع المؤنث للدلالة على غير العاقل.

ومثال آخر من سورة الزخرف، حيث يقول تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾[3]

فالضمير في (خلقهن) عائد على السماوات والأرض، وهي جمادات غير عاقلة، لذا كان الضمير العائد جمعا مؤنثا.

ومثال آخر من سورة الطلاق إذ يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[4]

ومثال آخر من سورة يوسف: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾[5]، لنلاحظ أن النص القرآني واضح فيما يتعلق بالإشارة بالضمير العائد، فالضمير في (يأكلن) و(لهن) عائد على السنين السبع، وهي كيانات غير عاقلة بطبيعة الحال. بينما نفس الآية حين ورد فيها خاطب الناس العقلاء خاطبهم بجمع المذكر السالم (تحصنون).

كذلك في سورة النحل يقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[6]، فحينما تحدث القرآن عن الطير،

والقرآن مليء بالأمثلة التي تؤكد هذه القاعدة التي حاول طمسها نقلة الإسرائيليات الذين دأبوا على إلغاء قوانين اللغة لتأصيل الخرافة.

فادعوا أن للحيوانات لغة! فعجبًا لما يفترون!

وهو غير العاقل، قال (مسخرات) و(يمسكهن) حيث الضمير عائد في العبارتين على جمع المؤنث وحينما تكلم عن البشر العقلاء قال (يؤمنون)، أي باستخدام صيغة جمع المذكر السالم.

وفي سورة الأحقاف يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.﴾[٧]، فحينما تكلم عن عز وجل عن السماوات والأرض قال خلقهن واستخدم جمع المؤنث، إذن فاستخدام جمع المذكر السالم حينما نتحدث عن العقلاء، ولا عاقل على وجه البسيطة بالمعنى المعروف سوى الإنسان.

فحينما يخاطب الله اليهود فى سورة البقرة يقول: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ.﴾[٨]، فليس معنى ذلك أنهم تحولوا إلى حيوانات، وإنما اتصفوا بصفة القرود في التقليد فأصبحوا مقلدين لغيرهم من العصاة.. لأنهم لو تحولوا إلى قرود فعلا لقال لهم كونوا قردة (خاسئة)! أليس كذلك؟!

وفي سورة النور يقول تعالى: ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ...﴾[٩]، ففي خطاب الله تعالى إلى الناس قال (لكم) و(عليكم)، بينما حين ذكر العورات قال (بعدهن)

والقرآن مليء بالأمثلة التي تؤكد هذه القاعدة التي حاول طمسها نقلة الإسرائيليات الذين دأبوا على إلغاء قوانين اللغة لتأصيل الخرافة.

فادعوا أن للحيوانات لغة! فعجبًا لما يفترون!

الهوامش:

١ – (فصلت: ٨٣)
٢ – (المائدة: ٥)
٣ – (الزخرف: ٠١)
٤ – (الطَّلَاق: ٣١)
٥ – (يوسف: ٩٤)
٦ – (النحل: ٠٨)
٧ – (الأحقاف: ٤٣)
٨ – (البقرة: ٦٦)
٩ – (النور: ٩٥)

اكتِئابُ الآباءِ فِيما حَولَ الوِلادة، المأساةُ الخَفيَّة، والقِصَّة غيرُ المرويَّة

يُعدّ الانتقال إلى مرحلة الأبوة من أكثر التجارب الإنسانية بهجةً وتأثيراً في حياة كلٍّ من الرجل والمرأة، لكن هل الصورة وردية دائمًا؟! إنّ التحوّل إلى دور الوالدين يُحدِث تغيّرات جوهرية في مختلف مجالات الأداء النفسي والاجتماعي لكلا الطرفين. وكما تواجه النساء حديثات العهد بتجربة الأمومة تحديات كبيرة في التكيّف مع متطلبات تلك المرحلة، فإنّ الآباء الجدد بدورهم قد يواجهون هم أيضا صعوبة في التكيّف مع الأدوار والمسؤوليات الجديدة التي تفرضها هذه المرحلة.

لا شك في أنّ العناية بالوليد الرضيع تتسبب في اضطرابات ملموسة في الروتين اليومي لدى الأمهات والآباء على حد سواء، وقد يشعر كثير من الآباء الجدد بشيء من عدم الاستعداد لممارسة دورهم الأبوي، مما يضاعف من حجم الضغوط المرتبطة بالتحديات اليومية.

الهند

د. ثمر حفيظ

وعلاوة على ذلك، فإن ثمة مجموعة متشابكة من المسؤوليات والتوقعات والالتزامات الملقاة على عاتق الرجل بطبيعة الحال، وتتطلّب قدراً كبيراً من الصبر، والعمل الدؤوب، والتضحية، تلك الالتزامات تزداد ثقلا بمجرد أن يصبح الرجل أبًا ذات يوم. وتمثّل فترة الحمل التي تمر بها الزوجة مرحلةً بالغة التأثير في حياة الزوج، ذلك لأنه في واقع الأمر يخطو خطوته الفارقة دخولا إلى عالمٍ مجهول المعالم، دون تصوّرٍ واضح لما ينتظره، حتى إن كثيراً من الآباء الجدد قد يختبرون مستويات مرتفعة من التوتر والقلق، والشعور بالعجز، وتدنّي الثقة بالنفس، وفقدان الدافعية والشغف، إلى جانب الخوف من المجهول، والانفعال الحاد، والإحباط المتكرر.

اضطراب ما قبل وبعد الولادة قد يصيب الأب أيضًا!

كما هي الحال لدى النساء، فإن الرجال كذلك معرَّضون للإصابة بالاكتئاب في أية مرحلة من مراحل حياتهم، بما في ذلك فترة ما قبل الولادة، أو ما بعدها. ويُعرَف هذا النوع من الاضطراب النفسي باكتئاب ما حول الولادة لدى الآباء Paternal Perinatal Depression، والذي يشار إليه اختصارا

وقد أظهرت الدراسات أنّ أعلى معدلات الخطر للإصابة بالاكتئاب لدى الآباء المنتظرين تكون خلال الثلث الأول من الحمل. كما تشير أبحاث عديدة إلى أنّ تقلُّد دور الأبوة من شأنه أن يزيد من احتمالية إصابة الرجال بـ القلق الأبوي فيما حول الولادة.

بـ PPND[1].

وقد أظهرت الدراسات أنّ أعلى معدلات الخطر للإصابة بالاكتئاب لدى الآباء المنتظرين تكون خلال الثلث الأول من الحمل. كما تشير أبحاث عديدة إلى أنّ تقلُّد دور الأبوة من شأنه أن يزيد من احتمالية إصابة الرجال بـ القلق الأبوي فيما حول الولادة.

غالبًا ما يعزو الآباء الذين يعانون من الاكتئاب والقلق أسباب معاناتهم إلى الضغوط النفسية وما يترتب عليها من اضطرابات، ومن المعلوم أن قلة النوم، وصعوبة تحقيق التوازن بين العمل والحياة، والتغيرات في الروتين الأسري، والإرهاق الجسدي، وتعدّد الأدوار، وإهمال العناية الذاتية، كلها عوامل تُسهم في تفاقم أعراض القلق والاكتئاب. وينضاف إلى العوامل السابقة عدم المعرفة الكافية بأساليب رعاية الطفل، أو ضعف ثقة الرجل في قدرته على ممارسة دور الأب، فيما يُصطَلح على تسميته بـ «انخفاض الكفاءة الوالدية المدركة»، قد يضاعف من شعور الآباء الجدد بالعجز وخروج الأمور عن السيطرة.

الأسباب وعوامل الخطورة

تسهم مجموعة من عوامل الخطورة في زيادة قابلية الأب للإصابة باكتئاب ما حول الولادة، ومن أبرز تلك العوامل تاريخ الاكتئاب الشخصي أو في نطاق عائلة الزوج، كذلك من بين عوامل الخطر تغيُّرات الرجل الهرمونية، ثم هناك اضطرابات العلاقة الزوجية، كما لا يمكن أن نُغفِل غياب الدعم الاجتماعي بوصفه أحد عوامل خطر إصابة الرجل باكتئاب ما حول الولادة. وأخيرا يأتي الخوف من تكرار التجارب السيئة كعامل من عوامل خطر الإصابة المحتملة. ونظرًا إلى خطورة هذا النوع من الاكتئاب وتهديده لكيان الأسرة الناشئة، يحسن بنا تناول عوامل الخطر السالفة بشيء من التفصيل.

عدوى الاكتئاب، وتكرار التاريخ المَرَضي

يمكن أن يكون التاريخ الشخصي أو العائلي للاكتئاب عاملا من عوامل الخطر، حيث كلما كان هناك سجل سابق لحالات الاكتئاب أو وجود اضطرابات اكتئابية لدى الزوج أو أي من أفراد عائلته، فإن هذا مما يزيد من احتمالية الإصابة. كما ويندرج تحت هذا العامل تعرض الزوجة بدورها للاكتئاب، حيث يمكن لاكتئاب الأم أو قلقها أن يُحفّز أو يُفاقم الأعراض الاكتئابية لدى الأب بالتبعيَّة.

الهرمونات، سلاح ذو حدين

ثمة قاعدة طبية متفق عليها تقول بأن كل تغير هرموني تتبعه تغيرات فسيولوجية ومزاجية، إيجابًا أو سلبًا. وكثيرا ما نسمع بالتغيرات الهرمونية، خصوصا لدى المرأة في فترات الدورة

الشهرية، وأيضًا في فترة الحمل، وقد يتفاجأ الكثيرون حين يعلمون أن تلك التغيرات لا تقتصر على المرأة وحدها، بل من المُرجَّح كذلك أن يكون الرجل عرضة لها ولتوابعها السيئة، فقد ارتبط انخفاض مستويات هرمون التستوستيرون ارتباطًا مباشرًا بالأعراض الاكتئابية لدى الرجال. كما أن التراجع في نسبة هذا الهرمون قبل الولادة وبعدها قد يسهم في ظهور الاكتئاب الأبوي. كما أنّ الخضوع لعلاجات الفحولة، بغضّ النظر عن الأسباب، قد يؤثّر سلبًا على تقدير الذات والصحة النفسية.

الرجلُ غريبٌ في بيته!

تأتي الاضطرابات التي تطرأ على شكل العلاقة الزوجية ضمن قائمة عوامل خطر إصابة الرجل باكتئاب ما حول الولادة، حيث إنه مع تغيُّر نمط التعامل بين الزوجين مع انضمام العضو الجديد إلى الأسرة، أي الوليد، يتولد لدى الأب شعور بالإقصاء أو الانفصال، ومع تحوّل التركيز الأسري على الأم والطفل الوليد، قد يشعر كثير من الآباء الجدد بالتهميش، والوحدة، والعزلة، أو التجاهل، وربما بنوع من الغربة، حيث يبدو له أنه في وادٍ وحده، بينما الأم ووليدها في وادٍ آخر. فالحاصل أنَّ اضطرابات العلاقة الزوجية، بما فيها عدم الرضا الزوجي، والنقد السلبي، وكثرة الخلافات، والضغوط الانفعالية، وصعوبات التواصل، وعدم التوافق، كلها مؤثرات سلبية على قدرة الرجل على التحمل.

شبحا الخوف، من الفقر، ومن الفقد

العوامل السالفة ليست وحدها التي تزيد من قابلية الأب للإصابة باكتئاب ما حول الولادة، ولكن ثمة عوامل أخرى غير مباشرة، كضعف الدعم الاجتماعي والضغوط المالية أو المهنية، حيث إن غياب الدعم العملي والعاطفي من البيئة الاجتماعية المحيطة، إلى جانب الضغوط المهنية، قد يشكّل عاملًا محفّزًا رئيسيًا. والحق أن هذا العامل يختزل أمرًا يشترك فيه معظم الناس، ألا وهو الخوف من الفقر، والتقصير في توفير متطلبات الضيف الجديد، أي الطفل الوليد، وهنا يجدر بنا تذكُّر قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا.﴾[٢]، فترك الرجل نفسه فريسة للاكتئاب بذريعة الخوف من توفير متطلبات الحياة المادية لأولاده هو بحد ذاته شروع في قتل هؤلاء الأولاد.

كذلك إن العُقد النفسية الناجمة عن الخوف من تكرار تجربة أليمة، مثل فقدان طفل سابق أو وفاة زوجة في ظروف الحمل أو الولادة، أيضا من عوامل زيادة قابلية الأب للدخول في حالة الاكتئاب بشكل ملحوظ.

اكتئاب الأمهات واكتئاب الآباء، مشكلة واحدة، وحلول مختلفة

قد تتشابه أحيانا أعراض الاكتئاب لدى الرجال عنها لدى النساء، غير أن الأزواج يظلُّون بحاجة إلى دعم ومعلومات تختلف عما تبحث عنه زوجاتهم[٣]، وإنْ اشتركوا في بعض الأعراض الشائعة، مثل اضطرابات النوم، وتغيّرات الشهية، وفقدان الشعور بالمتعة، والانسحاب من الأسرة أو العمل، والسلوكيات التجنبية.

وقد تظهر أيضًا أعراض أقل وضوحًا، من بينها الغضب والانفعال والتهيّج أمام أتفه الأسباب، وصعوبة التعاطف مع مشاعر الآخرين، فيما يُعرَف بالتصلّب العاطفي.

كل ما سبق علاوة على عدة أعراض جسدية، مثل الغثيان والإرهاق، والاضطرابات الهضمية كالإمساك، وفرط الحموضة، وأوجاع الرأس والظهر والمفاصل.

ومن المهم التنبيه إلى أنّ الأفكار الانتحارية، وتعاطي المواد، والعنف الأسري، والسلوك العدواني قد تكون تعبيرات غير مباشرة عن اكتئاب غير مُشخَّص، قد يظهر في صورة سلوكيات تجنبية، مثل الإفراط في استخدام الشاشات، أو العمل المفرط، أو الأكل القهري، أو التدخين وتعاطي المواد المخدرة والمشروبات الروحية كآليات تكيّف سلبية.

ماذا لو لم نتدخَّل علاجيًّا؟!

تؤثّر الصحة النفسية للأب تأثيراً بالغًا على رفاه الأسرة ككل، ولها دور محوري في بناء العلاقة بين الوالد والطفل، وتنظيم انفعالات الطفل، واستقرار العلاقة الزوجية على المدى القريب والبعيد كليهما. فعلى المدى القريب، أشارت دراساتٌ إلى أنّ الأطفال الذين عانى آباؤهم من اضطراب ما حول الولادة قد عانوا هم أيضًا بدورهم من مشكلات نفسية وسلوكية لاحقًا بعد سبع سنوات، من بين تلك المشكلات اضطراب السلوك أو اضطراب العناد والتحدي. كما ارتبط الاكتئاب الأبوي بارتفاع خطر إصابة الأبناء بالاكتئاب لاحقًا.

وعلى المدى البعيد، قد يؤدي ذلك إلى انخفاض جودة العلاقة الزوجية، وضعف الدفء والعواطف الأبوية إلى الأبد.

الاعتراف بالمشكلة أول طريق العلاج

يعاني كثير من الآباء بصمت، مما يزيد معاناتهم تعقيدًا. من هنا تبرز الحاجة إلى مسارات واضحة للوقاية والكشف المبكر والتعافي، من بينها الوعي بأعراض اكتئاب ما حول الولادة، وطلب الدعم من الأسرة والأصدقاء والمختصين النفسيين. والأهم مما سبق أن يعترف الرجل بمشاعره ويعبّر عنها دونما خجل، فالبكاء لا يتعارض مع الإيمان، ذلك لأنه استجابة إنسانية طبيعية للألم والحزن، وقد بكى النبي ﷺ عند وفاة ابنه إبراهيم وقال: «تَدْمَعُ العَيْنُ وَيَحْزَنُ القَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا ما يَرْضَى رَبَّنَا، وَاللَّهِ يا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بكَ لَمَحْزُونُونَ»[٤].

إنّ أعظم الرجال في التاريخ كانوا أُنَاسًا ذوي مشاعر، مرّوا بالإخفاق والحزن قبل النجاح. وقد عبَّر القرآن الكريم بشرعية هذه المشاعر: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ...﴾[٥].

أخيرًا، علينا إدراك أنّ رفاه الأسرة يقوم على الصحة النفسية لكلا الشريكين، والأبوة، كأية ممارسة حياتية، هي رحلة تعلّم وتجربة. ومع التدخل المناسب، تتلاشى الإخفاقات ومشاعر العجز، لتتكلل التجربة بالنجاح والتوفيق.

الهوامش:

1 - James F. Paulson & Sharnail D. Bazemore, Paternal Perinatal Depression: A Review and Recommendations, JAMA (Journal of the American Medical Association) , 2010

٢- (الإسراء: ٣٢)

3 - Karen R. Kleiman, The Postpartum Husband: Practical Solutions for Living with Postpartum Depression, Xlibris Corporation, 200**0**

٤ - أخرجه البخاري (١٣٠٣)

٥ - (يوسف: ٨٧)

الأسرار المخفية وراء الابتسامة

(المملكة المتحدة)

نفيس أحمد قمر

انطلاقًا من سنة نبيّنا ﷺ

من منظور إسلامي، يمكننا تعلم الكثير من السنة النبوية عن فضائل الابتسامة، الأمر الذي أصبح محل اتفاق علمي. ومن المعلوم من سيرة الرسول ﷺ أنه واجه العديد من التحديات في حياته، فقد والديه في حداثة سنه، ونشأ يتيمًا، كما فقد العديد من صحابته في غزوات مختلفة، ولكن رغم كل هذه الابتلاءات، لم تغب ابتسامة محيَّاه قط، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.[١]

لقد اعتاد ﷺ أن يلقى أصحابه باسم الثغر، كانت ابتسامته تبعث على المحبة والارتياح، وتمنح الصحابة شعورا بالشرف، وبأنهم محبوبون. فعَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: «مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلاَ رَآنِي إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي.»[٢] وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ.»[٣] نستشفُّ من تعاليم الرسول ﷺ فضل التبسُّم في وجه من نلقاه، وأن هذا الفعل البسيط معدود من صالح الأعمال. إن فعل الابتسام، على بساطته، له بُعدٌ روحيٌّ أيضًا، كما إنه صدقةٌ بحد ذاته، ووسيلة سهلة، وبالغة التأثير في آن، لنشر الخير، حيث ترتفع بها المعنويات.

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلاَلِ لَكَ صَدَقَةٌ وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ.»[٤]

وعلى الرغم من بساطة فعل التبسُّم، فإنه ذو بُعد روحي خطير

....أشتغل في مكتبي، وأستطيع أداء بعض المهام الأخرى، كمتابعة الأخبار. الأمر يتعلق بالذهن، إذا كان أحد كسولاً، ثم قال أنه لم ينم بما فيه الكفاية، لن يتحقق شيء أبدا. عليك أن تكون حازما بحيث تعرف إنه يتعين عليك أن تُكمِل مهاما ما. كن دائم التبسُّم، فسيبقيك هذا نشيطا على الدوام.

ومؤثر، حيث يُعوَّل عليه بدرجة كبيرة في نشر الخير وإفشاء السلام ورفع المعنويات. وقد حدث ذات مرة أن طرح طفل سؤالا على حضرة أمير المؤمنين (أيده الله تعالى بنصره العزيز)، عن كيف يجد حضرة أمير المؤمنين وقتا كافيا للراحة مع جدول أعماله اليومي المزدحم. أجاب حضرة أمير المؤمنين: أشتغل في مكتبي، وأستطيع أداء بعض المهام الأخرى، كمتابعة الأخبار. الأمر يتعلق بالذهن، إذا كان أحد كسولاً، ثم قال أنه لم ينم بما فيه الكفاية، لن يتحقق له شيء أبدا. عليك أن تكون حازما بحيث تعرف إنه يتعين عليك أن تُكمِل مهاما ما. كن دائم التبسُّم، فسيبقيك هذا نشيطا على الدوام.[٥]

الابتسامة والصحة الجسمانية

لقد حدَّثنا رسول الله ﷺ قبل ١٤ قرنًا من اليوم عن فضل الابتسامة، واليوم وقد تقدَّم الزمن وتقدمت معه العلوم الحديثة، ثبت أن للابتسامة فوائد صحية جسمانية شتى، ناهيك عما لها من تأثير نفسي إيجابي بالغ.

إن إطالة العمر من الأمور التي شغلت تفكير الناس على مر العصور. المثير للدهشة أن قضية إطالة العمر تلك باتت مؤخَّرًا في مُتناول كل إنسان، وهذا بفضل اتباع عادات صحية عديدة، من بينها الابتسامة.

وقد توصَّلت دراسة أجريت في جامعة هارفرد أن الأفراد الذين هم أكثر تفاؤلاً، عادة ما يعمرون طويلا، حيث تتجاوز أعمارهم ٨٥ سنة، الأمر الذي يحمل دلالة على علاقة طردية بين الرؤية الإيجابية والصحة على مدى فترة طويلة من الزمن.

ماذا يحدث داخلنا حين نبتسم؟!

لم يعد خافيًا الآن أن التوتر بات المعاناة الأكثر شيوعا بين عدد كبير من الناس، لا سيما بين البالغين، وقد أعلنت إحصائية أُجريت في عام ٢٠٢٢ أن نسبة كبيرة من الناس يشتكون بالفعل من أعراض التوتر المعروفة، والتي منها الصداع والإرهاق والاكتئاب. فالمتفق عليه بهذا الصدد أن للتوتر تأثيرًا سلبيا عميقا على كياننا بأكمله، وهذا التأثير ينعكس بالضرورة على وجوهنا. وقد أثبتت دراسة أن فوائد الابتسامة لا تقتصر على مجرد إزالة آثار التعب والإرهاق، بل إنها تساعدنا بشكل فعال في تخفيض مستويات توترنا، فعندما نبتسم تفرز أجسامنا هرمون الإندورفين endorphin وهرمونات أخرى تمنح شعورًا مزاجيا جيدا، الأمر الذي يهدئ الدماغ ويخفض التوتر ويحسن صحتنا العامة[٦]. بوجه عام، الابتسامة يمكن أن تزيد من سعادتك. في المرة القادمة التي ينتابك فيها شعور الإحباط، جرِّب أن تبتسم، من المرجح أن ابتسامتك سترفع معنوياتك بشكل ملحوظ.

كما ثبت بالدليل الطبي القاطع أن التبسُّم في الأوقات العصيبة من شأنه أنْ يُخَفِّض معدل ضربات القلب. كما تشير أبحاث

أخرى ذات صلة أنه يعمل على ضبط مستوى ضغط الدم. وتوصلت دراسة سريرية إلى أن العلاج بالإضحاك يُسهِم في تقليل اعتماد مرضى القلب على العلاجات العقاقيرية، وهذه نتيجة منطقية تماما بالنظر إلى العلاقة الوثيقة بين التعبيرات الإيجابية وصحة القلب.

هذا وقد توصلت دراسة نفسية إلى أن الابتسامة، حتى وإن بَدَت مصطنعة في البداية، تحفز مسارات عصبية تؤثر بشكل مباشر في استجابة الجسم للضغط. شارك في الدراسة ١٧٠ شخصًا لم يكونوا على دراية بهدفها، حيث أكملوا مهمتين مختلفتين مُجهدتين أثناء حملهم عيدان الطعام في أفواههم بطريقة تُنتج ابتسامة دوشين، أو ابتسامة عادية، أو تعبيراً محايدًا. (٧)

مكمن السر الروحي في ضرورة الابتعاد عن صاحب الوجه العبوس

الابتسام يحسن صحتك العامة عن طريق دعم جهاز المناعة لديك. إنه ينشط الجهاز العصبي اللاإرادي، وهذا التنشيط يساعد في التحكم في إفراز بعض هرمونات الأمعاء والأجسام المضادة التي تخلق تأثيراً مضادًا للالتهابات، مما يحسن الاستجابة المناعية. إذا كنت تحاول الحفاظ على صحة جيدة أو تعزيز مناعتك، حاول الابتسام، فإنه يُقدم فوائد بسيطة ولكن ذات مغزى.

مصاحبة المبتسمين يبعث فينا عادة شعوراً بالارتياح، لما لمُحيَّاهم من إطلالة مشرقة تبعث السرور في قلب من يلقاهم. إننا، تلقائيًّا، ننفر من أولي الوجوه العابسة والجباه المُقطبة، ونتجنب مصاحبتهم أو التعاون معهم في أغلب الأحوال.

والسر في ذلك كامن في أن كلا من تعبيرات الوجه الباسم وتعبيرات الوجه العابس تعملان في اتجاهين متعاكسين تماما، ولا أحد يرغب في أن يعيش لحظات تعيسة، فلأن المرء على دين خليله، ومن جاور السعيد يسعَد، فإن مصاحبة المبتسمين تُورث السرور بالضرورة، والعكس صحيح، فمصاحبة العابسين تورث العبوس والضجر بالضرورة كذلك.

وعلاوة على كل ما سبق، فإن الابتسام يجعل المرء يبدو أصغر سنا مما هو عليه في الواقع، فعندما نبتسم فإن عضلات الوجه ترتفع قليلا، مما يجعلنا نبدو أكثر شبابًا، ومعلوم أن المرء مع تقدمه في السن، تأخذ عضلات وجهه في التدلي، وهذا ما يفسر ظهور التجاعيد كأحد أعراض التقدم في السن والشيخوخة. وهنا تبرز فائدة جديدة للابتسام، ليكون طريقًا طبيعيًّا، ليس إلى شعور الشباب وحسب، بل إلى مظهره أيضًا. ففي عالم طغت عليه بواعث الاكتئاب والقلق والضوضاء، يتعين علينا أن خوض تحدي أن نبقى إيجابيين مهما كلَّفنا الأمر. من هنا تبرز ضرورة اتباع سنة الرسول ﷺ بأن نحفِّز أنفسنا على الابتسام في كافة الظروف. فإذا كان ﷺ قد عبَّر عن التبسُّم بوصفه صدقة، فلننشر إذن بهذه الصدقة المحبة والسلام والسعادة في العالم من حولنا، ولتغمر الابتسامة وجوهنا، لا لراحة بالنا وحسب، بل لإسعاد من تنير حياتهم ابتسامتنا أيضا.

الهوامش:

١ – (جامع الترمذي، كتاب المناقب)

٢ – (صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة)

٣ – (صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب)

٤ – (جامع الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ)

5 Smile your life depends on it, Alhakam Magazine

6 - Nicholas A. Coles and Jeff T. Larsen, A Meta-Analysis of the Facial Feedback Literature: Effects of Facial Feedback on Emotional Experience Are Small and Variable,

7 - Tara Kraft & Sarah Pressman, Grin and Bear It: The Influence of Positive Facial Expressions

altaqwa.net
الجن بين الحقيقة والخرافة
أغسطس 2022
سبتمبر 2022
أكتوبر 2022
نوفمبر 2022
ديسمبر 2022
مارس 2022
إبريل 2022
مايو 2022
يونيو 2022
يوليو 2022
أكتوبر 2021
نوفمبر 2021
ديسمبر 2021
يناير 2022
فبراير 2022

AL-TAQWA

Monthly Islamic Magazine Vol. 38 - Issue 12, April 2026

www.altaqwa.net